كتاب
نسيم الصبا

تأليف

الامام ابن حبيب الحلبى رحمه الله

طبع على نفقة

منصور عبد المتعال الكتبي بشارع محمد على

﴿ قال صاحب كشف الظنون ﴾

نسيم الصبا مختصر مشتمل على ثلاثين فصلا مذكور فيه جملة من أنواع البديع على عادة مؤلفه وهو بدر الدين محمد بن حسن بن عمر بن حسن بن حبيب الحلبي المتوفي سنة ٧٧٩

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

كتاب
نسيم الصبا

تأليف

الامام ابن حبيب الحلبي رحمه الله

طبع على نفقة

منصور عبد المتعال الكتبي بشارع محمد على

﴿ قال صاحب كشف الظنون ﴾

نسيم الصبا مختصر مشتمل على ثلاثين فصلا مذكور فيه جملة من أنواع البديع على عادة مؤلفه وهو بدر الدين محمد بن حسن بن عمر بن حسن بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩

١٣٢٩ هـ مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر ١٩١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي أعلى مقام أهـل الادب * واستخرج من بحار خواطرهم ما يقضى له بالعجب * وجمع بهم شتات الفوائد * وأمدهم بكلمات يقف عندها رائد العوائد * ونبى عن كامل فضلهم قول ليت ولـكن وحرك بما يبدونه من المطرب والمرقص كل سا كن * والصلاة على نبيه محمد الفائض على أقواله صوب الصواب * وعلى آله وأصحابه الذين بأساليب آدابهم الحسنة تسلب الالباب * فهذه ثلاثون فصلا طالت فروعا وطابت أصلا * تشتمل على ألفاظ أرق من الشمول * ومعان بعيون عقائلها تفتن العقول * أنشأتها بعـد الافاقة من نشوة الصبا * وسميتها حيث ملـكت زمام اللطف ﴿ نسيم الصبا ﴾ * وأودعتها أبياتا لغيرى على وجـه التضمين * محلياً جيـد منثورها بالمنظوم من عقدها الثمـين * منبها عليها بالحمره (١) مظهراً مالها على مأمور قولى من الامره * والله يهدى الى سواء السبيل * وهو حسبنا ونعم الوكيل *

﴿ الفصل الاول فى السماء وزينتها ﴾

أيقظتنى ليلة دواعى الهموم ، فنظرت نظرة فى النجوم ، فاذا السماء

---

(١) وضع بدل الحمرة الاقواس

كانها روضة مزهرة ، أو صرح كنس جوار يه مسفره، أو غدير تطفو عليه الفواقع أو بنفسج نور اقاحه لامع ، أو مسح ألقى عليه درر غواص ، أوستر به لعين كل نجم وصواص ، أو جمر فى خلال رماد* أو كما قال من أجاد

بساط زمرد نثرت عليه   دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها ، و يسرى ليسقى ذابل نرجسها ، ياله من نهر صفاماؤه ، وعتد على الافق لواؤه ، يتقلب القلب اليه ، و يقف طرف الطرف عليه ، و يقبل نحوه الدبران ينصب ، و على شطه الميزان ، ويحوم حوله النسران و يعوم فيه الحوت والسرطان ،

والثريا كا كرة أو كجام   أو بنان أو طائر أو وشاح

أو باقة من نرجس ، أو كاس تدار فى المجلس ، أو شمع يتوقد، أو شمس من عسجد ، أو شذر منضود ، أو كرم أوعنقود ،أو عقد لؤلؤ حسن الاتساق ، أواقراط خود ترتعد فرقامن الفراق ،

وسهيل كوجنةالحب فى اللون   وقلب المحب فى الخفقان

أو كمصباح ، تلعب به أيدى الرياح ،أو ظامئ يريد أن يرد ، أو فارس فى حمى الحمى مجتهد أو مشوق يتبع الآثار ، أو غريب لا يزور ولا يزار ،أوغريق يدعى قوة السباحه ، أو ماجد أنف من الذل فألف السياحه أو مغاضب يدعى فلا يجيب، أومحب يغض الطرف و يفتحه خوف الرقيب، والجوزاء النيره ، كالشجرة المنوره

كانها منطقة من ذهب   قد عقدت على قباء أزرق

والفرقدان ، الهاديان المرشدان

كأنهما الفان قال كلاهما   لشخص أخيه قل فانى سامع

والذراع يذرع شقة الافق، والجبهة تسجد على مفارق الطرق ،والعيوق

يعوق عن السير اذا سار ، والعوّا أعينها نشاوى قد تغشاها خمار والسماك معتقل رمحه ، والنثرة منتظمة كالسبحه ، والنعائم تحدوها النعامى ، وزهرة الزهرة تضئ بين الخزامى ، و بهرام يخجل البهرمان ، والاكليل ليس يكل من مسايرة الاظعان والمقدم لايتأخر عن الاعناق والايجاف ، والصرفة قد همت مع العسكر بالانصراف ،

تمر بوادياً ليلا وتطوى نهار أمثل ما طوى الازار
فكم بصقالها صدى البرايا وما يصدى لها أبداً غرار

فبينما أنا أسرح فى درر الدرارى نظرى ، وأروض فى رياضها جوادفكرى ، وأقدس من هى مسخرات بأمره ، وأنزه من هدى خلقه بها فى بره وبحره ، إذ هب نسيم السحر ، يروى عن أهل نجد أطيب الخبر ، فعطر الكون بعرفه ، وملك الرق برقته ولطفه ، وأهدى الروح إلى الارواح ، وأطرب السمع بأحاديثه الصحاح ،

فهو حياة لكل حى كأنّ أنفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده ، وحصلت على الفائدة من وفوده ، وسر بمناجاته سرى ، وقلت له والدموع تجرى

أعد ذكر من حل الغضا يامحدثى وإن أضرموه بالاضالع والصدر
ولا تنس سكان العقيق وإنهم على وجنتى أجروه فى مدة الهجر

فلما أتممت الانشاء والانشاد ، وشرعت فى طلب الاسعاف والاسعاد ، تبسم الفجر ضاحكا من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل افقه ، فانطوى نشر الليل ، وكف من غمره الذيل ، وارتفعت الحجب ، وباحت نار الشهب ، واقتنص بازى الضوء غراب الظلام ، وفض كافور النور عن الغسق مسك الختام

وشرد الصبح عنا الليل فاتضحت سطوره البيض فى الواحه السود

وفلت جيوش الدجى ، وحرك النهار منه ماسجا ، وجنح جنحه الى الرحيل ، وتلا لسان حال التحويل ، يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لاولى الابصار •

﴿ الفصل الثانى فى الشمس والقمر ﴾

بكرت يوماً بعد آداء الفرض ، أتفكر فى خلق السموات والارض ، فلمحت المشرق بالنظر ، و اذا قرن الغزالة قد ظهر ، كانه جذوة نار ، أو قطعة من دينار أو كاس ستر بعضه بالحباب ، أو حسناء غطت وجهها بنقاب ، ثم كشفت أستارها ، وألقت على الافق أنوارها ، و برزت كانها كرة فى ميدان ، أو مجن دولاب ضمخ بالزعفران ، أو مرآة لم تصقل ولم تطرق ، أو وجه المليحة فى خمار أزرق أو سبيكة زجاج منتفخة الجوانب ، أو بودقة يحرك فيها ذهب ذائب

وكأنها عند انبساط شعاعها   تبر يذوب على فروع المشرق

فقلت أهلا بالجاريه ، التى فى طلعتها ما يغنى عن الجاريه ، والعين التى تغار منها العين ، والجونة التى وضح منها الجبين ، والسراج الوهاج ، التى تبرجت بها الابراج ، أنت المخصوصة بالشرف والرفعه ، أنت واسطة عقد الكواكب السبعة ، أنت للحكمة برهان ، وللفلك معيار وميزان ، أنت الناطقة فى صمتها ، التى قصر البليغ عن وصفها ونعتها ، أنت ملك مقدم ، أنت النير الاعظم ، أنت يوح ، التى تغدو فى مصالح العالم وتروح ، أنت ذكا التى ذكت نارها ، أنت الضحى التى علت منارها ، أنت أنت الشمس ، التى بها تعرف الأوقات الخمس ، بك ينشر الظل ويطوى ، و يشتد النبات بعد ضعفه و يقوى ، و يستدل على طريق الصواب ، و يعلم عدد السنين والحساب ، لما سفرت

راقلة فى الحلل المعصفره ، محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصره ، وناهيك بها منزله ، وحسبك ان صفاتها فى الكتاب منزله ، ثم تمشت على بساطها ، وخطرت فى وشيها ورياطها ، وسبحت فى فلكها مرشدة الى الحقائق ، مظهرة أسرار الساعات والدرج والدقائق ،

تسمو الى كبد السماء كأنها   تبغى هنالك دفاع أمر معضل

واستمرت سائرة يحدوها مر النسيم ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، فلم يزل فكرى يصاحبها ، وطرفى يرعاها و يراقبها ،

حتى اذا بلغت حيث انتهت   وقفت كوقفة سائل عن منزل

ثم انثنت تبغى الحدود كأنها   طير هفا لمخافة من أجدل

فلما حجبت عن العيون شخصها ، وخطف المغرب من يد المشرق قرصها ، وا كتحلت جفون الافق بالقار ، وطرد زنجى الليل رومى النهار ، بزغ الهلال ، بأمر ذى الجلال ، كأنه قوس موتور ، أو زورق منحدر فى بحر الديجور ، أو شطر سوار ، أو منجل معدّ لحصاد الاعمار ، أو خنجر مرهف النصلين ، أو نون مرسومة من لجين ، أو شفة كاس مائله ، أو مخلب عقاب صائله ، أو قطعة من قيد ، أو فخ نصب للصيد ، أو حرف جيم أو عرجون قديم ، أو حاجب شيخ أدركه الشمط ، أو نعل من حافر أدهم الدجى سقط ، أو ذباب سيف خرج من جفنه ، أو راكع يعبد من لا يحدث أمر الا باذنه ، (وفى معناه من قصيدة

وترى الهلال يلوح فى أفق السما   يبدو كقوس بالمنى يرمينى

أو شبه فخ أو كدملج غادة   وكجانب المرآة والعرجون

وجبين حب بالعمامة قد زها   وكوجه خود بالنقاب مصون

وكناب فيل أو قلامة أنمل | وكزورق وكحاجب مقرون
أو كالسوار أزيل منه البعض أو | قربوس سرج مذهب أو نون
وكشأفة الكاس المخبا بعضه | ضمن الشفاه ومنجل مسنون
هو منجل الاعمار للحصد الذي | يفنى أولى التزيين والتحسين
واذا مضى سبع نراه كأنه | نصف لتعويذ بدا لعيون
واذا تكامل صار جاماً صافيا | وكأنه من لؤلؤ مكنون
أو غادة قد أسفرت عن وجهها | غنيت عن التزيين والتحسين
هـذا هو المشهور فى تشبيهه | قـدماً وذلك جمعـه يكفينى

فقلت مرحبا بمن ثياب مناوئه رثاث ، قر عيناً ستعود بعد ثلاث ، ثم تصير بدرا ، ان فى ذلك لذكرى ،

واذا رأيت من الهـلال نموه | أيقنت ان سيكون بدراً كاملا

أنت الزمهرير ، الذى ليس له فى نضارته نظير ، أنت الزبرقان ، الذى له فى كل شهر مهرجان ، أيها القمر ، كم من محب طاب له فيك السمر ، أيها الواضح الباهر ، ما أنت الامثل سائر ، أيها البدر الكامل ، الذى فضله للبرية شامل ، لا تأس على مافاتك من الدرج ، ولا يكن فى صدرك من الغزالة حرج ،

فقد تحمد الشمس الصباح بضوئها | تفاوتت الانوار والـكل رائق

منازلك معروفه ، ومحاسنك موصوفه ، وشرفك باذخ ، وقدمك راسخ ، وآياتك ظاهره ، وسفارتك سافره ، كم أوضحت من طريق ، وهديت الرفيق الى الرفيق ، وأذكرت محباً بمحبوبه ، وبلغت طالباً غاية مطلوبه ، أحسن بضوء ذبالتك ، وحى هلا بهلالتك ، جعلك البارى فى السموات نورا ، وكان أمر الله قدراً مقدورا ، فسبحان من جلا بمحياك حندق الغسق ، وأقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق ،

قدرك أثيث أثيل ، ومحبك نبيه نبيل ووجهك يا بثينة الحسن جميل ،

على رسل فما لك من مجار　　الى رتب العلاء ولا رسيل

فتبارك اسم من ألبسكما أحسن الحبر ، وتعالى جد من جعلكما مصباحين لأهل النظر ، ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، ثم لم يبرح يسرى وأنا لا أبرح ، وينجلى وأنا أشاهد وجهه الأصبح ، الى ان غاب واختفى ، وحسبنا الله وكفى ،

﴿ الفصل الثالث فى السحاب والمطر ﴾

ان لله تعالى حكما دائم النفوذ ، وحكما تهدى شفاء النجاة لمن به يلوذ ، وأسراراً معناها دقيق ، لا يفهمه الا أرباب التحقيق ، أمسك الغيث عن عباده فى عام ، فخاض كل منهم فى بحر دمعه وعام ، وساءت الظنون لضن السحاب ، واشتاق النبات الى سماع وقع الرباب ، وظمئت الحياض ، وعبست وجوه الرياض ، واستدت عيون العيون بالنقع المثار ، وتعطلت من حلى المزن أجياد الازهار ، وذهلت العقول لفقد الصوب عن الصواب ، وقص جناح السرور وطارت الالباب ، وطوى بساط الانبساط ، ووقع القوم فى هياط ومياط ، وطالت عهود العهاد ، وتأهبت الأرض للبس أثواب الحداد ،

وأصابت نبت الربى عين شمس　　أورثته مذلة واصفرارا

كلما جال طرفها ترك النـ　　ـاس سكارى وما هم بسكارى

فبينما هم يجرون أذيال الكآبة ويرفعون الدعاء الى مواطن الاجابه ، تداركهم الله باللطف الخفى ، وانثال عليهم المنّ الحفى ، ونظر الله اليهم بعين حكمته ، وحرك سواكن الرخاء لتجرى بنعمته ، وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، فمدت أعناقها ، وجدت أعلاقها ،

وركضت عادياتها ، وجرت على أحسن عاداتها ، وسدلت من أرديتها الاردان ، وأرخت العنان فى طلب العنان ،

ورياح تبشر الارض بالقطر كذيل الغلالة المبلول

ووجوه البقاع تنتظر الغيث انتظار المحب رد الرسول

فأقات سحاباً ثقالا ، يستهل كرماً ونوالا ، مسكى الأوهاب ، خصيب الجناب ، فسيح الرحاب ، صادق الوعود ، متلاحق الوفود ، كثير الاعوان والجنود ، يؤذن بالموارد الطاميه ، وشفاء الشفاه الظاميه ، وأثراء فقير الثرى ، دمعه آسفاً على ماجرى ،

اكب على الآفاق اكباب مطرق يفكر أو كالنادم المتلهف

ومدّ جناحيه الى الأرض جانحاً وراج عليها كالغراب المرفرف

والرعد يزجره ويسوق بين يديه ، فاذا قصر صاح به وزجر عليه ، تاره يترنم كالحمام ، وطوراً يزأر كالاسد الضرغام ،

وكأن صوت الرعد خلف سحابة حاد اذا ونت النجائب صاحا

والبرق يلمح ويلمع ، ويمنح ثم يمنع ، كأنه ثغر أشهب ، أو قبس يتلهب ، أو حسام يمان ، أو فؤاد جبان ، أو سلاسل من ذهب ، أو أشهب مال جله حين وثب ، أو أنامل بعض الحساب ، أو حية تلتوى ثم تنساب ، أو كف خضيب يمد ويقبض أو خدّ خود تعرض بعد ان تتعرض ،

ترى الأرض منه وقد فضضت ووجه السماء وقد ذهبا

وقوس الغمام للجو نطاق ، لا بل تاج على مفارق الآفاق ، يزهو وهو بلجينه وعسجده ، ويفخر بياقوته وزبرجده ،

كأذيال خود أقبلت فى غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

فلما تراكمت السحائب ، واجتمعت حولها الكتائب ، واتسع

صدرها ، واستحكم أمرها ، وحلق بالجو ناهضها ، واعترض فى الافق عارضها ، ونصبت راياتها ، وانتهت غاياتها ، وآن رحيلها وتفريق شملها ، وحان وضعها وفصال حملها ، أجرت مدامعها ، وردت ودائعها ، وحلت عقد نطاقها ، وفكت أزرار اطواقها ، وحثت الركائب وأسبلت الذوائب ، وسمحت بطلها وطشها ، وسكنت رهج الغبراء برشها ، وأروت الحرة برذاذها وهطلها ، وأذهبت الحرقة بديمها وو بلها ، وآثرت بجودها وجودها ، ونثرت على بساط الأرض جواهر عقودها (أبو هلال العسكرى)

تخال بها مسكا وبالقطر لؤلؤاً وبالروض ياقوتاً وبالوحل عنبرا

كم أبدت احساناً وبرا ، وبردت من كبدى حرى ، وأسدت معروفا ، وأغاثت ملهوفا ، وساقت انعاما ، وسقت حرثاً وانعاما ، وكفت هماً حين وكفت ، وقرطت آذان الاغصان وشنفت ، وانشرت أمواتاً ، واخرجت حباً ونباتاً ، ونشرت مطرفاً بعد الطى ، وجعلنا من الماء كل شىء حى ، وكم نقعت غايلا ، ونقعت عليلا ، وملأت حياضاً ، ونورت رياضاً ، وأذالت دراً مصوناً ، وشرحت صدورا ، وأقوت عيونا ، وألبست الحدائق بروداً عليها طلاوه ، وأهدت للزهر قطراً ظاهر الحلاوه ،

ترى فواقعه فى الأرض لائحة مثل الدراهم تبدو ثم تستتر

فأمسى الناس فى عيشة راضيه ، يرفلون فى حلل الرفاهيه ، أمرعوا بعد الضنك والشظف ، وأخصبوا بعد الجدب والطفف ، وأصبح محل المحل دارسا ، ووجه الأمل يضحك بعد ان كان عابسا ، وأخذت الأرض زخرفها بعد ان كان زرعها يهيج واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، فثغورها مبتسمه ، وفرائد قلائدها

منتظمه ، وزوارقها مدبجه ورؤس أشجارها متوجه ، وغدرانها طافحه ومخايل السعادة عليها لائحـة ، وألسنة أهلها مشتغلة بشكر عـلام الغيوب ، وقلوبهـم مطمئنة بذكره ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، يبدئ ويعيد ، ويمتحن العبيد ، ثم يفتح لهم أبواب جوده الوافر وفضله المديد ، وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو المولى الحميد ،

﴿ الفصل الرابع فى الليل والنهار ﴾

ارقت ذات ليلة فى مهادى ، فسمعت طارقاً ينادى فى النادى ،

﴿ عتاب ابن ورقاء الشاعر ﴾

ان الليالى للأنام مناهـل   تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة   وطوالهنّ مع السرور قصار

فقمت من مضجعى ، وقـد بلّ ردنى مدمعى ، متحيراً فى أمرى ، متأسفاً على مافات من عمرى ، وقلت أيها الطارق ، فى ظلمة الليل الغاسق ، هل لك فى المنادمه ، فقال كم نديم سفك المنى دمه ، ثم سلم وجلس ، وتنفس وما نبس ، فقلت يامن شنف السمع يدوره ، اذكر لى شيئاً فى طول الليل وقصره ، فقال :

وليـل كواكبه لا تسير   ولا هو منها يطيق البراحا
كيوم القيامـة فى طوله   على من يراقب فيه الصباحا

مقيم ليس يبرح ، وعاجز لا يظعن ولا يزح ، برد نجومـه لا يذوب ، وغائب ضوئه ليس يؤوب . لا يبـلى جـديد مسحه ، ولا يجنح الى الحركة ساكن جنحه ، عليله مايرجى صـلاحه ، وصياحه لا يلوح مصباحه قطع الطريق على السحر ، وعذب أجفان المحبين بالسهر ،

حدثونى عن النهار حديثاً اوصفوه فقد نسيت النهارا

كأنه صريع راح ، أو طائر مقصوص الجناح ، أو أسير يحيط فى قيد أو بحر منع الجزر عن مدّه ، أو كسير ليس له على النهوض اقتدار أو ضرير يئس طرفه من رؤية النهار

أو هائم غمر بقطع الفلا قد حار لا يدرى بمن يهتدى

أو جيش زنج بالثرى قد ثوى أو دارة حيث انتهت تبتدى

واعلم أيها البصير الناقد ، ان الليل يطول على المهجور الفاقد ويقصر على المسرور الراقد

﴿ أبو سام رحمه الله ﴾

ليلى كما شاءت فان لم تزر طال وان زارت فليلى قصير

فقلت ايه أيها الامام ، اسمعنى شيئاً فى وصف الايام ، فقال

﴿ ابن الرومى رحمه الله ﴾

لله أيام تقضت لنا ما كان أحلاها وأهناها

مرّت فلم يبق لنا بعدها شىء سوى ان نتمناها

حيث الوقت معين ، وماء الشبيبة معين ، ونشر البشر فائح ، ونور الهناء لائح ، والحبيب مجيب ، والرقيب غير قريب ، وغصن الصبا رطيب ، ومطرف اللهو قشيب ، والعيش غض والدهر غضيض الطرف ، وسعاد السعد ممنوعة من الصرف ،

والشمل مجتمع والجمع مشتمل على الجميل وحسن الخلق والخلق

أيا أخا الادب ، الى كم ذا الحرص والدأب ، الايام بجمعها غرار ومدعى الوفاء منها غدار ، كثيرة الملال ، سريعة الزوال ، تفرّق الحبائب ، وتسترجع المواهب ، زمامها ذمم ، ومسالمها سلم ، تحلّ

العقود ، ولا تحفظ العهود ، تكدر الصافى من الشراب ، وتعد الظامى بورود الشراب ، لقد سقط من تمسك بعراها ، ونعب من قصد الراحة من ذراها ،

﴿ قال التهامى رحمه الله ﴾

ومكلف الايام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

ثم قال مضت الجهمة والشفق ، والفحمة والغسق ، والقطع والسدفه والبهرة والزلفه ، وآن لنسمات السحر ان تتبختر ، ولعيون الفجر ان تتفجر ، وقام للوداع ، فقلت زودنى بأنعم المتاع ، فقال دع آزار الاوزار ، واتق من لاتدركه الابصار ، وسبحه بالعشى والابكار ، وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ،

﴿ الفصل الخامس فى أقسام العام ﴾

حضر فصول العام مجالس الادب ، فى يوم بلغ منه الاريب نهاية الارب ، بمشهد من ذوى البلاغة ، ومتقنى صناعة الصياغة ، فقام كل منهم يعرب عن نفسه ، ويفتخر على أبناء جنسه ،

﴿ فقال الربيع ﴾

أنا شاب الزمان ، وروح الحيوان ، وانسان عين الانسان ، أنا حياة النفوس ، وزينة عروس الغروس ، ونزهة الابصار ، ومنطق الاطيار ، عرف أوقاتى ناسم ، وأيامى أعياد ومواسم ، فيها يظهر للنبات وتنشر الاموات ، وترد الودائع ، وتتحرك الطبائع ، ويمرح جنيب الجنوب ، وينزح وجيب القلوب ، وتفيض عيون الانهار ، ويعتدل

وحلية ظاهره ، ونجم سعد يدنى راعيه من الأمل وشمس حسن تنشدفا بأبعد ما بين برج الجدى والحمل ، عساكرى منصورة ، وأسلحتى مشهورة ، فمن سيف غصن بجوهر ، ودرع بنفسج مشهر ، ومغفر شقيق احمر ، وترس بهار يبهر ، وسهم آس يرشق فينشق ، ورمح سوسن سنانه ازرق ، تحرسها آيات ، وتكنفها ألوية ورايات ، بى تحمر من الورد خدوده ، وتهتز من البان قدوده ، ويخضر عذار الريحان ، وينتبه من النرجس طرفه الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ، ويفتر ثغر الاقحوان قائلا ، أنا ابن جلا وطلاع الثنايا :

ان هذا الربيع شئ عجيب   تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر   حيث درنا وفضة فى الفضاء

﴿ وقال الصيف ﴾

أنا الخل الموافق ، والصديق الصادق ، والطبيب الحاذق ، اجتهد فى مصلحة الاصحاب ، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب ، واخفف أثقالهم ، واوفر أموالهم ، واكفيهم المؤونة ، واجزل لهم المعونة ، واغنيهم عن شراء الفرا ، واحقق عندهم ان كل الصيد فى جوف الفرا ، نصرت بالصبا ، واوتيت الحكمة فى زمن الصبا ، بى تنضح الجادة ، وتنضج من الفواكه المادة ، ويزهو البسر والرتب وينصلح مزاج العنب ، ويقوى قلب اللوز ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان ، فيقمع الصفراء ويسكن الخفقان ، وتخضب وجنات التفاح ، ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح ، وتسودّ عيون الزيتون ، وتخلق تيجان النارنج والليمون ، مواعدى منقودة ، وموائدى ممدودة ، الخير موجود فى مقامى ، والرزق مقسوم فى أيامى ، الفقير ينصاع بمل‌ء مده وصاعه ،

والغني يرتع فى ربع ملكه واقطاعه ، والوحش تأتى ذرافات ووحدانا ، والطير تغدو خماصاً وتروح بطانا

﴿ ابن حبيب رحمه الله ﴾

مصيف له ظل مديد على الورى ومنّ حلا طعما وحلّ اخلاطا
يعالج أنواع انفوا كه مبدياً لصحتها حفظاً ويعجز بقراطا

﴿ وقال الخريف ﴾

أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغموم ، وهازم أحزاب السموم ، وحادى نجائب السحائب ، وحاسر نقاب المناقب ، أنا أصد الصدى ، وأجود بالندى ، وأظهر كل معنى جلى ، وأسمو بالوسمى والولى ، فى أيامى تقطف الثمار ، وتصفو الانهار من الاكدار ، ويترقرق دمع العيون ، ويتلون ورق الغصون ، طوراً يحاكى البقم ، وتارة يشبه الارقم ، وحيناً يبدو فى حلته الذهبية ، فيجذب الى خلته القلوب الابية ، وفيها يكفى الناس هم الهوام ، ويتساوى فى لذة الماء الخاص والعام ، وتقدم الاطيار مطربة بنشيشها ، رافلة فى الملابس المجدده من ريشها ، وتعصر بنت العنقود ، وتوثق فى سجن الدن بالقيود ، على انها لم تجرح اثماً ، ولم تعاقب الا عدواناً وظلما ، بى تطيب الاوقات وتحصل اللذات ، وترق النسمات ، وترمى حصى الجمرات ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر أنواع المطعوم والمشروب ، كم لى من شجرة أكلها دائم ، وحملها للنفع المتعدى لازم ، وورقها على الدوام غير زائل ، وقدود أغصانها تخجل كل رمح ذابل

﴿ ابن حبيب رحمه الله ﴾

ان فصل الخريف وافى الينا يتهادى فى حلة كالعروس
غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس

﴿ وقال الشتاء ﴾

أنا شيخ الجماعـة ، ورب البضاعة ، والمقابل بالسمع والطاعة . أجمع شمل الاصحاب ، وأسدل عليهم الحجاب ، وأتحفهم بالطعام والشراب ومن ليس له بى طاقة أغلق من دونه الباب ، أميل الى المطيع ، القادر المستطيع ، المتعضـد بالبرود والفرا ، المتمسك من الدثار بأوثق العرى ، المرتقب قـدومى وموافاتى ، المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتى ، ومن يعش عن ذكرى ، ولم يمتثـل أمرى ؛ أرجفته بصوت الرعد ، وأنجزت له من سيف البرق صادق الوعد ؛ وسرت اليـه بعساكر السحاب ، ولم أقنع من الغنيمة بالاياب ؛ معروفى معروف ، ونيل نيلى موصوف ، وثماراحسانى دانيةالقطوف، كم لى من وابل طويل المدى ، وجود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه وغيث قيد العفاة اطلاقه ، وديمة تطرب السماء بصوتها ، وحيا يحيى الارض بعد موتها ، أيامى وجيزة ، وأوقاتى عزيزة ، ومجالسى معمورة بذوى السيادة مغمورة بالخير والمير والسعادة ، نقلها يأتى من أنواعـه بالعجب ، ومناقلها تسمح بذهب اللب ، وراحها ينعش الارواح ، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح ، ان ردتها وجـدت مالا ممدودا ، وان زدتها شاهدت لها بنين شهودا

واذارميت بفضل كاسك فى الهوى عادت عليك من العقيق عقودا
ياصاحب العودين ، لا تهملهما حرك لنا عوداً وحرّق عودا

فلما نظم كل منهم سلك مقاله ، وفرغ من الكلام على شرح حاله، أخذ الجماعة من الطرب ماياخذ أهل السكر . وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر . وظهرت أسرار السرور . وانشرحت صدور الصدور . وهبت نسمات قبول الاقبال . وأنشد لسان الحال :

وماذا يعيب المرء فى مدح نفسه   اذا لم يكن فى قوله بكذوب

ثم انفض المجلس وحل النطاق ، وتفرق شمل أهله وآخر الصحبة الفراق

﴿ الفصل السادس فى البحر والنهر ﴾

هزتنى رياح الامل البسيط ، الى امتطاء ثبج البحر المحيط ، فأتيت سفينة يطيب للسفر مثواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقناً بأن المقدور صائر ، معرضاً عن قول الشاعر :

لا أركب البحر أخشى   علىّ منه المعاطب

طين أنا وهو ماء   والطين فى الماء ذائب

يالها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دسر وألواح ، تجرى مع الرياح ، وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادى بالملاّح ، تخوض وتلعب ، وترد ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع ، وشراع يحجب الشعاع وسكينة وسكان ، ومكانة وامكان ، وجؤجؤ وقار ، وأضلاع محكمة بالقار ، وجسم عار من الفؤاد ، وهو فى عين الماء بمنزلة السواد ، بعيدة ما بين السحر والنحر ، من أحسن الجوارى المنشئآت فى البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تمل من سير النهار ولا من سرى الليل

ما رأى الناس من قصور على الما   ء سواها تسير سير القداح

كأنها وعل ينحط من شاهق ، أو عرباض سابق يحثه سائق ، أو عقرب شائله ، أوعقاب صائله ، أو غراب أعصم ، أو تمساح اوأرقم أو ظليم نفرقى الظلام ، أوجواد فرّ مستنكفاً من صحبة الانام ، حاكمها عادل فى حكمه ، عارف بنقض أمرها وبرمه ، يهتدى بالنجوم ، ويبتدى باسم الحى القيوم ، يبرز من نواتيها فى جنود ، ويشمل احسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون فى ما يعمرون ، ويفعلون ما يؤمرون

يكثرون الصياح حتى كأن الـ سفن تجرى من خوف ذاك الصياح

فبينما نحن من البحر فى قاموسه ، كتب الجو حروف الغيم فى طروسه ، وثارت ريح عاصف ، يتبعها رعد قاصف ، فمالت بنا الفلك واضطربت ، ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت ، واستمرت ترفع وتخفض وتقرب وترفض ، وتعلو كالاطواد ، وتهيم فى كل واد وتحوم وتحول ، وتجود وتجول ، وتضرم فى الكبود نار ناجر ، الى أن بلغت الحناجر ،

ألا فارجه واخشه انه هوالبحر فيه الغنى والغرق

ثم نظر الينا من لا تخفى عليه السرائر ، وأمر الجارية بحمل العبيد الى بعض الجزائر ، فلم ندر الا ونحن تجاه جزيرة ، تسر النفوس بمحاسنها الغزيرة ، فانحدرت ماضياً الى بنيها ، نائياً عن السفينة وساكنيها ، فوجدتها مخضرّة الافنان ، مخضلة الكثبان ، بها من الياقوت مايرجع خاسئاً مناويه ، ومن الاشجار ما يحمل الفواكه والافاويه ، وبين رياضها نهر شديد الخضر ، أرضه ذهب وحصباؤه درر ، وأمواجه عكن ودارانه سرر

عذب اذا ماغب منه ناهل فكأنه من ريق خود ينهل

لين الاديم ، مزاجه من تسنيم ، يصقله الصبا ويفركه النسيم ، فكأنه دروع موضونة ، أو مبارد مسنونة ، أو دمع يتسلسل ، أو أفاع تململ ، أو ذوب فضة يسيل ، أو صفحة سيف صقيل ، أو لوح بلور مرقوم ، أو رحيق بالمسك مختوم

وكأن الطير اذ وردته من صفاء به تزق فراخا

ان مالت اليه الغصون فالشخوص ترقص فى الحال ، وان كرعت منه الظباء فالغيد يرشفن من ثغره أترابهن الزلال ، وان أشرقت عليه

النجوم خلت الفلك يدور فى أرجائه ، وان تجلى له البدر حسبته قلباً خافقاً بين أحشائه

﴿ قال مؤيد الدين الطغرائى ﴾

والشمس ان وافتهرأد الضحى حسناء فى مرآته ناظره
انموذج الماء الذى جاءنا ال وعد بأن نسقاه فى الآخره

فلبثت فيها مدّة ، مفكراً فى مارأيت من الفرج بعد الشدة ، مؤمناً بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، واقفاً على شكر من تجرى الفلك فى البحر بأمره

ربما تجزع النفوس لأمر ولها فرجة كحل العقال

ولم أزل بها فى أحسن حال ، وأرغد عيش وأنعم بال ، الى ان حرك الله منى ماكان ساكناً ، وأدخلنى مصر بمشيئته آمناً

﴿ الفصل السابع في المعقل والدار ﴾

عرض لى فكر أثار العزيمة ، الى مشاهد الآثار القديمة ، فأعددت الزاد ، وسرت أجوب البلاد ، وأصل العنق بالوخدوالزميل ، وأكتحل من أثمد الفلاة بميل بعد ميل ، فبينا أنا أترامى لنيل المرام ، لاح لى بناء على أيهم خشام ، فتوجهت مسرعاً للوقوف عليه ، واجتهدت الى أن توصلت اليه ، فرأيت معقلا يسبي العقول ، ويجر على السحاب فضل الذيول ، رفيع الذرى ، رحيب الذرا ، رأسه فوق الثريا وأسه تحت الثرى ، صهونه عالية ، وثغوره حالية ، ومهور عرائسه غالية ، الجوزاء لخصره منطقة ، والزهرة فى أذنه كالشنف معلقة ، يباهى الافلاك ، ويسمو الى السماك ، ويعلو على الزواهر ،

ويخجل الشمس بنوره الباهر ، ويعوق العيوق ، وينادم القمر عند الصبح والغبوق

اذا ماسرى برق بدا من خلاله كما لاحت العذراء من خلل الحجب

سوره منعطف كالسوار ، وأبراجه تدهش بتبريجها الابصار ، وشرفاته تلمع كالمشرفية ، وخبايا صياصيه عن الاوهام خفية ، ممنعة مصادره وموارده ، متسعة معالمه ومعاهده ، لايرى الوعل أعلى طوره ، ولا يبلغ الطرف منتهاه لعجزه وقصوره ، عروقه مؤزرة بالتخوم ، وفروعه متوجة بالنجوم ، وبنيانه مرصوص ، وخواتمه مرصعة بجواهر الفصوص ، لا يتصل الفناء بفنائه ، وتظهر العزة على من يرجو تملك ارجائه ، عقوده محكمة ، وأحجاره مهندمة ، وأركانه مشيدة ، وملابسه مع القدم جديدة ، وقواعده مرفوعة ، وأقوال ديكته فى السماء مسموعة ،

له عقاب عقاب الجو حائمة من فوقها فهى تخفى فى خوافيها

وبوسطه دار دار بها فلك السعود ، وأورق لطالب كنزها عود الوعود ، وسحت عيون ساحتها ، ورفع فى العقار فرش عقرها وباحتها ، وتوقفت الكواكب لمراقبة عجائبها وغرائبها ، وسال لعاب الشمس من الحيرة فى ملاعبها ، أنيقة المبانى مأهولة بأهلة المعانى ، تنشرح الصدور فى قاعاتها وبقاعها ، وتخبر محاسنها بصنائع أهلها وحذق صناعها

اذا فتحت أبوابها خلت انها تقول بترحيب لداخلها أهلا

رحبة الاكناف ، بديعة الاوصاف ، تدل على انها كانت منزل الاشراف ، ومقر قرى الاضياف ، ومقصد الوفود ، ومحل الكرم والجود ، تحار الاعين فى وشى أزاهيرها ، وتقصر الالسن عن تقريظ مقاصيرها ، مياه بركها غزيرة ، وجدرانها بالتمكين جديرة ، وأشجارها

لم تزل مورقة مثمرة ، ولياليها لا تبرح بالسنا على مر السنين مقمرة

تتقابل الانوار فى جنباتها　　فالليل فيها كالنهار المشمس

كم بها من صدر مجلس مشروح ، وسقف مرفوع وباب مفتوح ، وبهو بالبهاء تراه أثرى ، وايوان يكسر بسهام قوسه جيش ايوان كسرى ، وحدائق لم تنبت فى التراب ، ولا جادتها أيدى السحاب ، وتصاوير تحرك العارف بسكونها ، وتفتن الالباب بحمرة خدودها وسواد عيونها ، وتبعث الخواطر بمعانيها ومغانيها ، ويكاد ماء الذهب يقطر من أعاليها ، قد جل عن الترخيم رخامها ، وتوفرت من المحاسن أقسامها ، وابيضت وجوه مرمرها ، وزادت بهجة جباهها وطررها ، وتخلقت أثواب ساجها ، واجتمع شمل أبنوسها وعاجها ، وعلت رتبة ارائكها ، وغلت قيمة سبائكها ، فلو ساجلها الروض لذهب مع الرياح عرفه ، ولو كحل بنورها الاعمى لارتد اليه طرفه ،

ديار عليها من بشاشة أهلها　　بقايا تسر النفس انسا ومنظرا

فلما أحاط علمى بغوره ونجده ، وبلغ رائد فكرى منه غاية قصده ، أدخلته فى زمرة عقائل المعاقل ، ونظمته فى سلك ما أتكلم عليه فى المحافل ، وسألته عن بانيه وساكنيه فلم يجب ، ثم قال بلسان الحال كل منهم بغمام الرغام قد حجب ، فحققت ان الدهر يذيل كل مصون ، وتلوت كم تركوا من جنات وعيون ، وخرجت منه معتبرا ، وظلت فى طريقى متذكرا ،

قلت يوما لدار قوم تناؤا　　أين سكانك الكرام لدينا

فأجابت هنا أقاموا قليلا　　ثم ساروا ولست أعلم أينا

﴿ الفصل الثامن في الاشجار والثمار ﴾

لما صدئت مرآة الجنان ، قصدت لجلائها بعض الجنان ، فطرقت الباب فقيل من ، فقلت فتى لايدرى من له فتن ، ففتح بالوصيد ، ود المراد من المريد ، فدخلت اليها ، وما كدت ان أقدم عليها ، فاذا جنة عالية ، قطوفها دانية ، وطلحها منضود ، وظلها ممدود ، واعلام أشجاره مرفوعة ، وفاكهتها كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة

ربع الربيع بها لحاك كفه　　حللا بها عقد الهموم يحلل

تجوس المياه ديارها ، وتشرق بآفاقها أنوار نوارها ، وتحدق الحدق بفنون افنانها ، وتغنى الورق فى الورق على عيدانها ، وتميد ادواحها على مذهب الانماط ، وتميس من الحلى فى أحلى الشنوف والاقراط

كأن غصونها سقيت رحيقا　　فمالت مثل شراب الرحيق

نزهة النواظر ، وشرك الخواطر ، كم لرقيق نسيمها من رقيق قلبه مقيد ودمعه طليق ، بها أشجار لاتحصى ، وثمار لاتعد ولا تستقصى

(فمنها نخيل) متحفها غير بخيل

(جمارة)

جسم لطيف اللمس لكنه　　قد لف فى ثوب من الصوف

(وطلعة)

كصدر فتاة ناهد شق قلبها　　سماع فشقت عنه ثوباً ممسكا

(و بلحة)

مكاحل من زمرد خرطت　　مقمعات الرؤوس بالذهب

(و بسرة)

كانما خوصه عليه　　زبرجد مثمر عقيقا

(ورطبة)

أهليلج من لجين   مسمر بالنضار

(وثمرة)

يشف مثل كؤوس   مملوءة من عقار

(وكروم) كريمة ، منافعها عميمة

كانما عنقودها   زنج جنوا فى سرقه

فأصبحت رؤوسهم   على الذرى معلقه

أو الثريا عند الصباح ، أو أوعية نور ملئت من الراح

كم درة فيها وكم جزعة   صحيحة التدوير لم تثقب

(وتفاح) سرى نشره وفاح ، كانه خمر جمد ، او جمر ما خمد ، أو در جمع معه ياقوت ، أو وجنة من هى للقلوب فى الدنيا قوت ، نصفه من بهار ، ونصفه من جلنار

كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة   به خد معشوق الى خد عاشق

(وسفرجل) جل قدرا ، واطلع من زهره زهرا

يحكى نهود الغانيات وتحتها   سرر لهن حشين مسكا أزفرا

ينوب طعمه عن الراح ، ويهدى عطر الخود الرداح

له ريح محبوب وقسوة قلبه   ولون محب حلة السقم قد كسى

(وموز) من نضار ، كأنه أنياب فيلة صفار ، أو طفل قماطه معصفر ، أو لفات زبد عجنت بسكر ،

أو مغرم انحله وصفره   بعد الذى بوصله ما ظفره

(وتين) ممزق الجلباب ، كدر القشر صافى اللباب ،

كأنه رب نعمة سلبت   فعاد بعد الجديد فى خلق

(ورمان) بديع النظام ، يبسم عن مثل حب الغمام ، كأنه نهود

الحسان ، أو حقاق صندل حشيت بالمرجان ،

حقاق كامثال الكرات تضمنت ، شذور عقيق فى غشاء حرير

فى شجره جلنار ، اشرق وأنار ،

يحكى فصوص بلخش فى قبة من زبرجد

(واجاص) أسود العين ، لا يعتريه شيب ولا شين ، كانه كرات من العنبر ، أو طليعة من الزنج تنتظر العسكر ،

واذا ما قشرته ففصوص صبغتها بمائها الظلماء

(وخوخ) ذو لونين ، فى بياضه وحمرته جلاء للعين ،

كوجنة غادة خافت رقيبا فغطتها بمحمر البنان

(وكمثرى) لطيف الذات ، حسن الصفات ، فى غاية اللطف والرقة ، يذوب من الراحة ولا يحمل المشقة ،

كأنه فى شكله ولونه وطعمه قوالب من سكر

(ومشمش) تقمص بالشفق ، وتدرع بالورق ، كـكرات من العقيان ، أو بنادق ضمخت بالزعفران ،

وكأنما الافلاك من طرب به نثرت كواكبها على الاغصان

(وتوت) خمرى اللون ، ليس له صبر على الصون ، مزمل بدمائه ، لم يبق فيه غير ذمائه ،

يكاد بأن يفنى اذا ما لمسته فارحمه من سائر الثمرات

(وعناب) تقى الاهاب ، كأنه قلوب الاطيار ، أوخرز ركب من النضار ،

اقراط ياقوت تحركها الصبا أو انمل بالارجوان مطرفه

(وفستق) شريف ، كأنه عند التحقيق والتحديق

زبرجدة ملفوفة فى حريرة مضمنة درا مغشى بياقوت

أو مسرور تبسم ، أو مأسور فتح فاه لتكلم ،

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كألسن الطير من بين المناقير

(ولوز) قلوبه مؤتلفة ، وأثوابه مختلفة ، لطيف المعانى ، له بها جنة من الجانى ، كأنه خز بزه رفيع ، أو عذار جديد شرط الخليع ، أو سندس أخضر من تحته صدف أحسن به صدفاً فى ضمنه درر

(وجوز) جسمه من العرعر ، وقميصه من الزمرد الأخضر ، صحيح التدوير ، يسقط على الخبار لا على الخبير

والجوز منشور يروق كأنه لوناً وشكلا مصطكى ممضوغ

(وصنوبر) يقرى الضيف ، لا يعرف رحلة الشتاء والصيف ، كأنه طيور على ذرى القصب ، أو كافور ضمخ بالمسك المنتخب

عقد لآل مشرق لونه فى جوف ادراع من العود

(واترج) حسن ذرعا وزرعا ، وطاب أصلا وفرعا ، فيه روح وريحان ، وهو للاغصان بمنزلة التيجان

أباريق من الذهب المصفى وقد سقطت عراها بالعراء

(ونارنج) بهيج ، طيب زهره اريج ، كأنه مصابيح ، تهزها أيدى الريح ، أو عذراء صبغت بالورس ازارها ، أو وجنة عاشق اضرم الوجد نارها

أو جذوة حملتها كف قابسها لكنها جذوة معدومة اللهب

(وليمون) كأنه بنادق من لجين ، أودعت غلفاً من العين مخافة العين .

يشبهه بيض الدجاج وقد لطخه العابث بالزعفران

(وزيتون) شجرته ميمونة ، وأسرار أنواره مكنونة

بدا لنا كأعين شهل وذات دعج

مخضرة زبرجد مسودة من سبج

(وخرنوب) كقرن ظبي معطوف ، أو هلال عاجله الخسوف

وكأنه مـذ لاح فى اوراقه أصداف درّ ضمنها مرجان

(ونبق) جلبابه معصفر ، كأنه كهرباء أصفر

أو عدة من شنوف قد علقت بالغصون

(وزعرور) كالياقوت ، مسك نكهته مفتوت

جلاجـل مخضوبة عندما أوخرزات خرطت من عقيق

(و بأرضها الباقلاء) الذى فاح نشره ، وصدق خبر خبره ، يبرز له من الكمائم ، نور يحكى بلق الحمائم ، كأنه لؤلؤ يقق ، متلفع بمروط السرق ، أو خواتم من فضة ، أو مخالب جوارح منقضة

فصوص زمرذ فى غلف درّ بأقماع حكت تقليم ظفر

(والخشخاش) الذى تضىء بنوره الأغباش ، أعلام تميل مع الرياح ، أو أكاليل على رؤوس الرماح

حبلى تضم أطيفالا اذا درجوا رأيت شملهم المنظوم منثورا

(والكتان) الذى رقت حواشى شققـه ، وراقت محاسن أخضره وأزرقه ، وامتدت رياطه وحبره ، وتبلبلت أصداغه وطرره

اذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبـه حتى يقال غـدير

وفيها من النبات ما يطول اليه بنانى ، ويقصر عن حصر وصف بعضه لسانى ، يسقى بماء واحـد ، ويبطل قول المعترض والجاحد ، ولعمرى لقـد بلغتنى ما أملته من جلاء قلبي المعمود ، واذ كرتنى مالم أكن ناسياً من فنائها وبقاء جنـة الخلود ، فانهـا وانّ طاب جناها ، وأوقفت النفوس على حلا من سناها ، مؤذنة بالتلاشى والرحيل ، قل متاع الدنيا قليل ، فلما قضيت منها وطرى ، ثنيت عنها عنان نظرى ، ومضيت ذاكراً محاسن صفتهـا وموصوفها ، شاكراً سرور سرورها وعرف معروفها

وعذراً فانى فى الثناء مقصر   وقولى بالتقصير يبسط لى عذرا

﴿ الفصل التاسع في الروض والأزهار ﴾

جدّ بى الوجد فى أبان الربيع ، الى رؤية فضل الغيث بمنازل الربيع ، فسرت أحدق فى جوانب الحدائق ، وصحبتى من الشوق وسائق ، يتلوهن حاد وسائق ، فاذا أنا بروضة أريضة ، عيون أزهارها مريضة ، قد فاح ارجها ، واضاءت سرجها ، وبرز ابريزها ، وحسن تطريزها ، وأبدت من زينتها ماهو باللطف منعوت ، ونثرت على الزمرذ أصناف الدر والياقوت ، وتحلت بما يروق انسان كل انسان ، وتجلت فى رفرف خضر وعبقرى حسان ، أعلن السحاب أسرارها ، وهتك النسيم أستارها

كان تفتحها بالضحى   عذارى تحال ازرارها

حكت الخنساء لا فى الحزن بل فى الحسن والفخر ، ولها عيون تجرى على الديباج لا على صخر ، يضوع عرفها فى الآفاق ولا يضيع ، ويبهر الطرف من صنع صنائعها كل زهر رفيع ، تنهار جداولها وأنهارها ، ويضحك فى وجه من أمّ بها وأملها ثغر نوّارها

وما غربت نجوم الليل لكن   نقلن من السماء الى الرياض

(فمن ورد) أحمر الاهاب ، عندمى الخضاب

كالشمس شكلا ونشر المسك رائحة   واللؤلؤ الرطب فى تفريجه عرق

ملك جليل ، مخصوص بالتبجيل ، رفيع الجناب ، خفيف الركاب ، الرياحين جنده ، والشوك سنانه وسلاحه ، والعقيان والمرجان قلبه وجناحه

مداهن من يواقيت مركبة   على الزبرجد فى أجوافها ذهب

ومنه الأبيض ، المذهب المفضض

كأن وجوهه لما توافت بدور فى مطالعها سعود
بياض فى جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

(ومن نرجس) باسم ، عرفه ناسم

كأنما صفرته على بياض يقق
اعشار جزء ذهبت من ورق فى ورق

له عيون هدبها من لجين ، وحدقها من خالص العين ، قامت من الزبرجد على ساق ، فهامت بها قلوب العشاق

واحسن مافى الوجوه العيون وأشبه شىء بها النرجس

(ومن ياسمين) يجلو البصر ، كانه اقراط من الدرر ، يحفظ الزمام ، ولا يمل من طول المقام ، ثغوره ضاحكة ، وحسنه آمن من المشاركة

والطرق الحمر فى جوانبه كخد عذراء مسه عضّ

(ومن نسرين) جوهر عقده ثمين ، درر على زبرجد ، أو حقاق ورق فيها برادة عسجد

ماان رأينا من قبله زمرداً يثمر بلورا

(ومن خلاف) ليس فى طيب عرفه خلاف ، يحكى القدود باهتزازه ، ويصل وعده بانجازه ، كأنه ثمل من الراح وهو يومئ برأسه نحوها ، وكأن غصونه احست برحلة الشتاء فقبلت فروها

والبان تحسبه سنانيراً رأت بعض الكلاب فنفشت أذنابها

(ومن بنفسج) حسن لباسه ، وطابت أنفاسه

كأنه وضعاف القضب تحمله أوائل النار فى أطراف كبريت

أو فصوص فيروزج نضيدة ، أو آثار قرص بخد خريده ، أو حروف لازوردية ، أو بقايا نقش فى راحة ندية

* أو أعين زرق كحلن باثمد *

(ومن زعفران) معطر الجيب والاردان

كأنه ألسن الحيات قد شدخت رؤوسها فاكتست من حمرة العلق

أو بصيص رماد ، أو ألفات كتبت بالذهب لا بالمداد

يفترى عن قانيات حسان مثل هدب معصفر من رداء

(ومن لينوفر) يألف المياه ، طمعاً فى دوام الحياه ، صفره السقام وعذبه ، وغربه الامل وغربه

كأنه ودروع الماء تشمله تحت الشعاع أكاليل الطواويس

أو طرف باهت من الفراق يفرق ، أو سابح ضعيف يعوم ويغرق ، يخفى بالليل ويظهر بالنهار ، ويتكلم فى الماء بألسنة من النار

يحب الشمس لايبغى سواها ويلحظها بمقلة مستهام

اذا غابت تكنفها اشتياقاً فنام لكى يراها فى المنام

(ومن آس) مالجرح محبه آس ، يرعى العهود ، ولا يميل الى الصدود ، كأنه بقية خضاب فى كف رداح ، أو نصال سهام أعدت للكفاح

حكى لونه أصداغ رئم معذر وصورته آذان خيل نوافر

(ومن ريحان) يقول ان وقت الرى حان ، كأنه وشم يد مطرفه ، أو حلة مخضرة مفوفه ، أو أطواق الحمام ، أو سلاسل سوالف الغلام

له حسن العوارض حين تبدو وفيه لين اعطاف القوام

(ومن منثور) منظوم جوهره منثور ، أعطافه مؤتلفة ، وألوانه مختلفة ، أبيضه وأحمره كثغر الحبيب وخده ، وأصفره كوجه من منى باعراضه وصدره ، يخل بشذاه نهاراً ويجود به ليلا ، والام يتستر وهو متهتك فى حب ليلى

كأنه عاشق يطوى صبابته صبحاً وينشرها فى ظلمة الغسق

(ومن سوسن) تعالى الله ما أحسن ، قائم على سوقه ، ينتظر

ايابمعشوقه، منه أزرق بهى الملبوس، وأبيض تميل الى ضوء صبحه النفوس

كأنه ملاعق من ورق قد خط فيها نقط من عنبر

(ومن خزامى) قدره لا يسامى ، يسكن المنازل العلية ، ويرفل في حلته اللازوردية ، يا لها حلة فاخرة ، وحلية باهية باهرة

لو حواها الطاووس أصبح لا شك مهنا بملك طير الهواء

(ومن اقحوان) جمع فى مفرده القمران

كشمسة من لجين فى زبرجدة قد أشرقت حول مسمار من الذهب

(ومن آزريون) أظهر القطر سره المكنون

كأن أغصانه فيروزج بهج من فوقه ذهب فى وسطه سبج

(أو مسك) فى جام من ذهب ، أو فحم أحاط به اللهب

تراه عيوناً بالنهار نواظراً وعند غروب الشمس أزرار ديباج

(ومن بهار) يبهر بحسنه الأبصار

كسواعد من سندس وأكفها من فضة حملت كؤوس عقار

(ومن شقيق) أين منه المرجان والعقيق

كأنه وجنات أربع جمعت وكل واحدة فى صحنها خال

(ومن ومن ومن) اشارة فتى بالعجز عن الحصر قمن ، فلما تأملت محاسن هذه الروضة الأنيقة ، ونظرت الى ما فيها من النبات بعين الحقيقة ، شكرت أيادى صانعها ولجأت اليه ، وأثنيت على صائغها وان كنت لا أحصى ثناء عليه ، وقلت تعظيما لأمره ، وما قدروا الله حق قدره ، وانشرح صدرى بالوقوف على مغانيها ، وجاد فكرى حيث جال فى معانيها ، وامتلأ قلبى من نورها نوراً ، وانقلبت الى أهلى مسروراً

﴿ الفصل العاشر فى وصف الغلام ﴾

بينا أنا جالس فى بعض الحدائق ، وحولى رفقة هذبتهم الحقائق ، وحسنت منهم الاخلاق بين الخلائق ، مرّ بنا غلام ، يخجل بدر التمام ، بديع الجمال ، أين منه الغزالة والغزال ، لطيف الشمائل ، يختال بين الخمائل ، تمتد لرؤيته من الزهور الاعناق ، وتستتر الغصون حياء منه بالاوراق ، وهو ممتط صهوة جواد أشهب ، لا يبلغ البليغ حصر وصفه ولو أسهب

ساحر الطرف وافر الظرف أحوى   خده الأبيض اللجين مذهب
لا تلمنى على اعتقادى هواه   مذهب الوجد فيه أحسن مذهب

فلما حاذى مثوانا ، حيانا فأحيانا ، فتلقيناه بالترحاب ، ودعوناه فأجاب ، فحصلنا من حضوره على المقصود ، وتحققنا أن يومنا بمشاهدته مشهود ، فأطلت فى محاسنه نظرى ، وأجلب فى ذاته وصفاته فكرى ، فاذا له (ذؤابة) تذيب المهج ، وتدرج فى حبائلها من دب ودرج ، ظلها وارف ، وظلامها عاكف ، تسلب العقول بالاثيث الاثيل ، وتسهر العيون فى ليلها الطويل ، حندسية العذب ، غزيرة الفضل والادب

اذا ما تثنى للسلام مليكها   على أجد دارت وقبلت الارضا

(ووجه) وسيم ، تعرف فيه نضرة النعيم ، يفوق سنا القمر ، له خفير من الخفر ، رقيق البشرة ، تحار عند أسفاره السفرة ، نزهة المشتاق ، ومرآة لوجوه العشاق

محيا بها المقتول يحيا وكم له   على وجنة العانى من الدمع جعفر

(وجبين) منقطع القرين ، واضح كالصباح ، صلت تصلت دونه بيض الصفاح

وتعجب لطرة وجبين ان فى الليل والنهار عجائب

(وحواجب) دم عاشقها مباح وقتله واجب ، كأنها قسى موتورة ، أو نونان فى صحف اللجين مسطورة

قد وليت امرة أمثالها وحاجب الشمس لها حاجب

(وعيون) يالها من عيون ، قد جمعت بين المنى والمنون ، تقتل وهى لاهية ، وتسكر وهى صاحية ، وتصول وهى كانسة ، وتسهر وهى ناعسة ، نفاثات فى العقد ، لا يسلم من سحرها أحد

لحظانها كم أرهفت من أبيض والجفن منها مثل حظى أسود

(وصدغ) معقرب ، لكنه لرقية السليم باب مجرب ، يعيد من القطف ، كأنه واو العطف ، أو جيم محكمة العوج ، أو منجل صيغ من سبج

صدغ أعاديه أبدوا من عيبه ماحلا لى

ذم العناقيد جهلا من لم يصل للدوالى

(ووجنات) حركت من الخواطر السكنات ، تغير الجلنار والتفاح ، وتؤلف بين الماء والراح ، بها ورد ريحه للارواح بلغة ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة

ترى هل من طريق لاجتماع بجمرة ذلك الخد النقى

(وخال) خال من العيب ، لاشك فى حسنه ولا ريب ، كأنه قيراط من عنبر ، أو نقطة شقيق أحمر

ورثته حبة القلب القتيل به وكان عهدى ان الخال لا يرث

(وعذار) طاب فيه خلع العذار ، أنيق يجل عن التشبيه ، سائل كدمع محبيه ، كأنه خمل ديباج ، أو نمل دبّ فى عاج ، أو بنفسج أو سوسان ، أو حاشية كتبت بقلم الريحان

ان نفسي تميل نحو اخضرار   فيه والنفس مثل ما قيل خضرا

ومرشف فائق ، فيه ريق رائق ، وثغر ما له من مثال ، وألفاظ سحرها حلال ، ونكهة نشرها معطر ، وماء لسان أحلى من السكر ،

يبسم عن درّ وعن جوهر   وعن اقاح أو سنا البرق

(وجيد) جداية ، فيه لمنهاج المحبة أي هداية ، أحسن به من تليل ، بحر نحره طويل

لو جاد لي يوماً بتعنيفه   قلدت ذاك الأثم في عنقي

(وكف) ندية ، أرواحها ندية ، رعبوبة بضة ، بسائك أناملها من فضة

ياحبذا من مالك الحسن يد   لها على أهل الهوى أيادي

(وقدّ) قويم ، ألطف من النسيم ، مائل مائه ، صائل صائد تهيج عليه البلابل ، وتطير اليه القلوب ولو كانت مقيدة بالسلاسل ، ان حضر بان البان ، وغار من غيرته في الكثبان

أبي قصر الأغصان ثم رأى القنا   طوالا فأضحى بين ذاك قواما

(وخصر) رقيق الحاشية ، معاقد بنده متلاشية ، نحيف نحيل صحيح عليل

يستر وجدان القبا معدومه   ما أحسن المعدوم في الموجود

(وردف) مائج ، نافر خارج ، كثيب كثيف ، كم له من أسير أسيف ، تصعب على الصب نبأته ، وتثقل على الخصر وطأته

يا ردفه ها خصره   من فرط جورك مائج

أنحلته   بثقالة   ما أنت إلا خارج

(وسوق) تسوق المحبين إلى العطب ، ويضرم ماؤها الجامد في القلوب نارا ذات لهب

ان فرّج البين في بستان طلعته   مشى ففرجها في جانب السوق

(وأقدام) مقدمة على أمثالها ، مقبولة عند ادبارها واقبالها ، حسنها لا يضاهى ولا يشارك ، وكعبها على الحقيقة كعب مبارك

كلّ يذل له حتى ذوائبه أما تراها ترامت تلثم القدما

وعليه من (الحلل الفاخرة) والملابس الملونة الباهرة ، ما يخجل من حمرته وجه الشفق ، ويحسد النهار بياضه اليقق ، وتخضع لأسوده الظلماء ، وتغار من أزرقه السماء ، وتعنو الرياض لأخضره ، وتغيب الشمس حياء من أصفره

حمالة الحلى والديباج قامته تبت غصون الربى حمالة الحطب

وبخصره منطقته ، لم تبرح له معتنقه ، تعوقها العوائق ، وتثقلها كما يقال العلائق ، فمن سيف ماض كناظره ، وسهم نافذ كأوامره ، وقوس كحاجبه ، ومدى لتقصير مدى عائبه ، وهى تجول فى أضيق مجال ، وتنشد بلسان الحال

بروحى أفدى من ضربت لأجله وقاسيت حر النار وهى تفور

رشا ضاع ما بين الغلائل خصره ألم ترنى شوقاً عليه أدور

فخاطبناه فى وضع السلاح فوضعه ، وسألناه فى رفع الحجاب فرفعه ، وأخذ ينادمنا بأفصح لسان ، ويجلو لنا عقائل أخلاقه الحسان ، وينثر علينا من جواهر لفظه النظيم ، ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، والزهور تضحك فى الاكمام ، والغصون ترقص على غناء الحمام ، والنهر يصفق لتشبيب الريح فى آفاقه ، والدوح ينقطه بالدنانير من أوراقه ، والعيون تجرى بين أيدينا ، والنسيم يطيب أنفاسه يحيينا ، والروض يفرش لنا بساط سندسه ، ويجلسنا حتى على أحداق نرجسه ، يا له منظراً ما أنضره ، وسروراً ما أوفاه وأوفره ، ويوماً ما كان أطيبه وأقصره ، ملكنا فيه زمام التهانى ، وحصلنا على الأمان

والأمانى ، ولم نزل نتمتع منه بكل مطلوب ، إلى ان آذنت الشمس بالغروب ، فتأهب الغلام لمعاده ، وعـلا على ظهر جواده ، ثم ودعنا وسار ، وأودعنا الشوق والادكار ، وتركنا نتقلب على تلهب النار

﴿ الفصل الحادى عشر فى وصف الجارية ﴾

تاقت نفسى إلى زيارة بعض الاخدان ، فسرت اليه مشمراً أفضل الأردان ، فى ليلة سما قدرها ، وتحلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليـه ، وانتظمت فى سلك المجتمعين لديه ، ظهر لى انه متشوف الى قادم ، ومتشوق الى حضور منادم ، فـكشفت الخبر وتقصصت الأثر فقيل لى انه واعد بعض الحسان ، وهو منتظر اياب الاحسان ، فما أتممت الـكلام ، واتصلت من العـلم الى المرام الا وقـد أقبلت من الباب ، خودا تختلس الألباب ، غادة رؤد ، طفلة أملود ، كاعب رداح ترتاح لها الأرواح ، عديمـة المثال ، نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف فى روض جمالها ويتنزّه ، وتمحو بكثير محاسنها البديعـة ذكر عزه ، فى حليهـا وحللها تميد وتميل ، وبالجملة فهى بثينة الحسن لأن وجهها جميل ، فوقفت واسـتأنست ، ثم سلمت وجلست ، فسر الجماعـة بورودها ، وتملوا من جنة وجنتيها بورودها وأقبل يمن اقبالهم وأنشد لسان حالهم

أهلا وسهلا بهامن غادة سمحت   بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس
لما تبدت أضا الداجى ولا عجب   فطرّة الصبـح تمحو آية الغلس

فلمـا كشفت القناع ، وصـدق نظر السماع ، تأملت أوصافها ، وسبرت شمائلها وأعطافها ، فرأيت ما يشرف النظر ويشنف السمع ، ويذيب القلوب على ناره ذوب الشمع ، فمن فرع نامى الأوراق ،

مرسل لتعذيب العشاق ، جثل أسحم ، يلتوى كالأرقم ، غدائره مجعدة كالغدير ، وضفائره مظفرة بقتل الأسير

فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

(ووجه) مشرق الأنوار ، تحج الى كعبته الأبصار ، يزين اللآلئ والدرر ، و يستمد من ضوئه الشمس والقمر ، مرآته صقيلة ومعانى حسنة جميلة ، يترقرق فيه ماء الصبا ، و يخفى من لمعه بروق الظبا

عوذت بالسور المنيرة وجهها وهو الجدير بأن يكون معوذا

(وجبين) واضح ، تحن اليه الجوارح ، يتلألأ مصباحه و يتبلج فى ليل الطرة صباحه

فتاة يسر القلب والطرف حسنها كأن الثريا علقت فى جبينها

(وحواجب) تذيب المهج ، وتجذب الأرواح من قسيها بقبضة البلج ، كانها هلال محنى القوام ، أو فخ نصب لصيد أهل الغرام

اذا شمت تحت الحاجبين جفونها ترى السحر منها قاب قوسين أو أدنى

(وعيون) بابلية ، كم أوقعت لمن اليها صبا بلية ، تسل السيوف ، وترسل الحتوف ، صحاح مراض ، ليس لسهامها سوى القلوب أغراض

لله أى لواحظ غلابة للاسد فى وثباتها وثباتها

(وخدّ) كالجلنار ، قد جمع بين الماء والنار ، يشف الراح فى زجاجه ويهتدى الحائر بنور سراجه ، يزهو بورده الأحمر الطرى ، وأظنه من دم المحبين غير برى

تركية للقان ينسب خدّها واشقونى منها بخدّ قانى

(وخال) يختال فى أحلى الحلل ، له من الاقراط والشنوف خول ، كأنه من الدائرة قطبها ، ومن القلوب المتقلبة على نار حبها

فتنت بخال فوق خدك صانه أبوك فويلى من أبيك وخالك

(ومرشف) عـذب الأرياق ، رضابه لسليـم الهوى نعم الدرياق ، فيـه ماء مبرّد ، وثغر جوهرى صحاحه منضد ، ولعس يهـيم به ذو الشوق ، وشهد يشهد بحلاوته الذوق

وبه شراب مسكر ما ذقتـه   لـكنني أروى عن المسواك

(وعنق) كعنق ريم ، در عقوده نظيم ، يطوف الحلي بأركانه ، ويملك الرق بورقه وعقيانه

وجيد جداية لا عيب فيه   سوى منع المحب من العناق

(ونهود) كالعاج ، ملتحفة بروط الديباج ، رفيعة المنار شغلت الحلي أن يعار ، ان ثنيتها لم تجد عنـدها عطفاً لمرتاح ، وان لثمتها نشقت من الرمان عرف التفاح

كحقين من لب كافورة   برأسيهما نقطـة عنبر

(وبنان) رطيب ، على مثله يدور الخطيب ، مقبل بالافواه ، مصافح بالجباه ، فضى الاهاب ، مرقوم بالخضاب

فما أعذب السكب من أدمعى   وأحلى المشبك من نقشها

(وقوام) يهيم الحروب ، ويثير كر الكروب ، كامل الحسن مهفهف ، وافر الدل مثقف ، الرماح تخضع لديه ، والاغصان تسجد بين يديه

وقـد روت عن لينه واعتداله   صحاح العوالى مسنداً بعد مسند

(وخصر) نحيل ، يشكو من ردفها الثقيل ، ليس فيـه حظ للمجتنى ، لو سألتها عنه لقالت فنى

عيون الناظرين به أحاطت   فلم تحتج الى عقـد الوشاح

(وارداف) كالاحقاف ، وعدها موسوم بالاخـلاف ، خارجة عن العادة ، لـكن فيها للمحبين الحسنى وزيادة

تمشي بأرداف أبين قعودها بين النساء كما أبينُ قيامها

(وسوق) جمد ماؤها ، وبهر الأعين ضياؤها ، مشرقة النور ، قصبها من بلور

لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نار خلخالها

(وأقدام) لها على الفتك اقدام ، تمشي كالقطا ، ولا تخطئ قياس الخطى

كأن مشيتها من بين جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

وعليها من (الحلى والحلل) ما يفتن العقول ، ويدهش العقل ، فمن درّ ثمين كثغرها ، وبلور صاف كصدرها ، وعقيق كشفتها ، وياقوت كوجنتها ، وسبج كأجفانها ، وزمرد كنقش بنانها ، وقميص رقيق الحواشي ، ومطرف يحار فى وصفه الناشي

الى مثلها يرنو الحليم صبابة اذا ما اسبكرّت بين درع ومجول

فلما أنست بالقوم ، كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم ، وطباع ألطف من النسيم ، ومنادمة تطرب الاسماع ، ومداعبة ما الصبر عنها بمستطاع ، وملح ألذ من الزلال ، وحديث لو لم يجن قتل المحب لتميل هو السحر الحلال

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

ان طال لم يملل وان هى أوجزت ودّ المحدث أنها لم توجز

وللسعد يطلع نجمه ، والشمع واقف فى الخدمه ، وعرف الطيب يفوح ، وأعلام الهناء تلوح ، وشمل الضد مفرّق ، والعود يحرق ويحرق ، يالها من ليلة محى ظلامها ، ونور الافق ابتسامها ، وجلبت عروسها ، وطلعت خارقة للعادة شموسها ، لم ير فيها مايشين ويعيب ، سوى أنها كانت أقصر من جلسة الخطيب ، ولم نزل فى بشر وافر ، وسرور متواتر ، تجتلى وجوه الافراح المتتابعة ، ونجتنى من الوصل

ثماره اليانعة ، الى أن صاح العترفان ، ولاح فى المشرق ذنب السرحان ، فعزمت الجارية على الذهاب ، وأمرت باحضار الازار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع ، وتشتت الشمل بعد الاجتماع

وكان الدمع لى ذخراً معدّا فأنفقت الذخيرة حين ساروا

﴿ الفصل الثانى عشر فى الشمعة والنار ﴾

جلست مع بعض الأصحاب فى ليلة حالكة الجلباب ، ماؤها جامد ، وهواؤها بارد ، وظلها متناثر ، والماشى بها فى ذيله عاثر ، نجرى ذكر أهل البراعة ، ونعدّ مناقب فرسان أهل اليراعة ، ونورد أخبار أرباب أهل اللسن ، ونروى عنهم كل حديث حسن

قوم بهم شرف الزمان كلامهم شرك النفوس وعقلة الأحداق
أشخاصهم صرفت ولكن ذكرهم أبداً على مرّ الليالى باقى

فبينا نحن نجول فى ميدان المحاضرة ، ونحقق النظر فى وجوهها الناضرة ، والليل قد روّق . وشراب المنادمة مروّق ، اذ لمحت فى المجلس شمعة ، وقفت فى المجلس وأجرت الدمعة ، جسمها نحيل ، ومحياها جميل ، قامتها قويمة ، ودرة تاجها يتيمة ، تحرقها أنفاسها ، ويوبقها نبراسها ، كاسية عارية ، تخجل بضوئها الجارية

مفتولة مجدولة تحكى لناقد الاسل
كأنها عمر الفتى والنار فيها كالأجل

أو نبل نصله ذهب ، أو حية لسانها لهب ، أو وردة على قضيب ، أو محب أسهره بعد الحبيب ، أو لينوفره ، أو سبيكة معصفره ، أو غرة فى وجه أدهم السدف ، أو كوكب أرخى ذؤابه ثم وقف

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة فكلما حجبت قامت تحاكيها

يخوض فى لجـة الدمع طرفها القريح ، وتلعب بلهب قلبها الجريح يد الريح ، فتطلعـه نجما ، وترسـله سهما ، وتحركه لسانا ، وتنشره طيلسانا ،وتضربه دينارا ،وتصيره جلنارا ، وتصوره سوسنا ،وتصوغه اكليلا تبره ذو سنا ، وتعطفه كالهلال السافر ، وتنفره اذن جواد نافر وترفعـه كالسنان ،وتقيمه أنملة فى بنان ، وتبسطه كالمنـديل ، وتميله سلسلة قنديل، وتخطه ألفاً مستقيما ، وترسمه نوناً أو جيما ،واستمرت مولعة بشخصها ، ساعية فى نقضها ونقصها ، حتى فنى عمرها ،وانفصل أمرها ، وانحل عقدها ، وعز على الجماعة فقدها .

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا   وأعيا دواء الموت كل طبيب

وكان فى المجلس كانون ، يأتى فيه العود بغير قانون ، يضم ناراً ذات لهب ، له شرر شذره من ذهب ، همتها عليه ، ومرآتها جليه تعلو على الرماح فى ، المواكب وتزاحم الكواكب بالمناكب ، فاكهتها فى الشتاء محبوبه ، وأعـلامها للاصطـلاء منصوبه ، وهى بقضب الابنوس لا يجزل الغضا مشبوبه

كلما رفرف النسيم عليها   رقصت فى غلالة حمراء

كأنهـا سبج على مرجان ، أو زنجية بكفها كرة عقيان ، أو شمس محجوبة بالغمام ، أو ورد تبسم من خلال الكمام

أو أشقر مطهـم   يموج تحت العثير

أوغادةقد ضمخت   وجنتهـا بالعنـبر

يهتم بها أقوام ، هم واسـطة عقد الأنام ، كريمة أحسابهم ، مفتوحة للوفود أبوابهـم ، يمتطون ذروة كل محبوك القرا ، ويبسطون موائد الفوائد والقرى

اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له   من النار فى الظلماء ألوية حمرا

فلم تزل تضطرم ، وتستعر وتحتـدم الى ان خمـد لظى جمرها ، وغاض ماء شررها وشرها ، واضطجعت فى مهادها ، تحكى تحت غطاء رمادها

دماًجرى من فواخت ذبحت　　عليـه من ريشهنّ منثور

فراقنى ما شاهدت من حالهما ، وأمعنت النظر فى منقلبهما ومآلهما ، وقمت من شكر المنعم بأداء الفرض ، وقلت بلسان التعظـيم الله نور السموات والأرض ، ثم ان الصحب مالوا الى الكرى ، وطال عليهم مع كونهم جلوساً شقة السرى ، فوثبنا لاقتفاء أثر ما تقرّ به عين الهاجع ، وسألنا الحى القيوم أن يجعلنا من الذين تجافى جنوبهم عن المضاجع

﴿ الفصل الثالث عشر في مدح العشق وذمه ﴾

سألنى بعض المائلين الى الهوى ، المصابين بسهام الصبابة والجوى الساهرين فى الليل الطويل الذوائب ، الذين صرفوا على المحبة حبات قلوبهم الذوائب ، عن مراتب العشق وضروبه ، وقبائل الحب وشعوبه وهزله وجدّه ، وجزره ومدّه ، وشواهد شهده وبين وما قيل فى مدحه وذمه ، فأجبته الى سؤاله ، وجمعت بينه وبين آماله

يقولون لى صفها فأنت بوصفها　　خبير أجل عندى بأوصافها سم

ياهذا ان أوّل العشق استحسان ، من يلائم الطبع من الجوارى والغلمان ، تحـدث منه ارادة القرب والمودة ، ثم يقوى الود فيكون حباً لا يمكن القلب ردّه ، فاذا استحكمت المحبة فى القلوب ، عادت هوى يهوى بصاحبه فى اختيار المحبوب ، ثم يصير عشقاً ثم نتيما ، ثم يرجع ولها على العقول مخيما ، وهو طمع فى القلوب يتولد ، يعظم بالحرص على الطلب ويتأكد ، يخفى عن الابصار ، ويهيج باللجاج

والتذكار ، كامن كالنار فى الحجر ، والزهر فى الشجر ،ان قدحته أورى وان سقيته أخرج نورا

العشق أوّل ما يكون مجانة فاذا تحكم صار شغلا شاغلا

(فأما أوصافه الممدوحة) فانه جليس ممتع بمشاهدته ، وأليف مؤنس بمنادمته ، مسالكه لطيفة ، وممالكه شريفة ، برق لامع ونور ساطع ، تستضىء به نواظر العقول ، ويفعل فى الشمائل مالا تفعله الشمول ، ويتصل بجواهر النفوس ، فيزيل عنها لبوس ، البوس فرح يجول فى الروح ، وارتياح يغدو فى القلب ويروح ، وسائح ينشر من البشر ما انطوى ، وسرور ينساب فى أجزاء القوى

اذا أنت لم تطرب ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

يطلق اللسان ، ويشجع الجبان ،ويصفى الاذهان ، يولد الاخلاق الجميلة ، ويرغب فى اكتساب الفضيلة ، ويفتح للبليد باب الحيلة ، ويرفع لواء الهمم ، ويبعث على الحزم والكرم ، يلطف الطباع ، ويشنف الاسماع : ويدعو الى تحسين اللباس ، ويستميل بالرياضة أهل الشماس ، لا يقع فيه الا من قليب قلبه صافى ، ولا يسلم منه الا كل جلف جافى

فان شئت ان تحيا سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام له أهل

(وأما أوصافه المذمومة) فانه ملك قاهر ، وحاكم جائر ، هزله جد وراحته تعب ، وأوله لغب وآخره عطب، يعترى النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، ويكسف من الآراء شموسها البازغة ، ويسوق الى وليه غمام الغم ، ويهيم به فى وادى الهم ، يذهب العقل ويمرض الجسد ، ويقوى الفكر ويضعف الجلد ، ترتعد منه الفرائص ، وتتقد

به نار النقائص ، يستعبد الأحرار ، ويستأثر ذوى الأقدار ويصغر الأبدان ويوقع فى الذل والهوان

وكنت أظن الهوى هيناً   فلاقيت منه عذاباً مهيناً

يورث الأسف والحرق ، ويجلب الوسواس والأرق ، ويجدد ملابس الوجد والألم ، ويمنع على الاشتغال بالعلوم والحكم ، يحالف أرباب الشبهات ويستخدمهم فى تدبير الشهوات ، ويعطل عن المصالح ، ويجرح بمديته الجوارح ، من جنده الغرام والكلف ، ومن رفده الهيام والشغف ، يعوق الطالب عن الاستفادة ، ويشغل الانسان عما خلق له من العبادة ، جان يفضى الى الجنون ، ويدنى أهل المنى من المنون

وما عجب موت المحبين فى الهوى   ولكن بقاء العاشقين عجيب

واعلم وقاك الله ، شر الشرر ، ان أقوى أسباب العشق النظر ، رياحه تنشىء سحائب الفكر ، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور ، فاتق النظرة بعد النظرة ، فانها تزرع حبّ حبّ ينبت سنبل الحسرة كم سلب النظر قلب عابد ، وفتك عقل ناسك وحلّ عقد زاهد ، واجرى آفة ، وقرن ذلا بمخافة ، وأثار غبار معركة وألقى سهماً الى التهلكة ، وأقام حرباً على ساق ، وسفك الدماء وأراق ، وأوقع فى مصايد المصائب ، وهشم العظام بأنياب النوائب

فمن كان يؤتى من عدوّ وحاسد   فانى من عينى أتيت ومن قلبى

فاسلك سبيل السلامة ، لتصل الى دار الكرامة ، واقطع أسباب المطامع ، واشتغل عن المصنوع بالصانع ، فأما من آثر اللذات فقد تورط فى حبائل البلوى ، وانتهى من حرم الحرمان الى الغاية القصوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان

﴿ الفصل الرابع عشر فى الفراق ﴾

الفراق ، جمع الله الشمل بمحياك ، ورعى ودك على بعد المزار وحياك ، قد اجترى واقترح ، واذهب المسرة والفرح ، وضيق رحب الفضا ، وقلب القلب على جمر الغضا ، واورث الكمد ، واذاب جليد الجلد ، وجاب وجال ، ونثر عقود الاحتمال ، وأوجد الوجد والهيام ، واحوج الصب الى العبث بالاقلام

كتبت وعندى من فراقك لوعة　　تزيد بكائى أو تقل هجوعى
فلو أبصرت عيناك حالى كاتباً　　اذا كنت ترثى فى الهوى لخضوعى
أخط وداعى الشوق يملى وكلما　　تعديت سطراً رملته دموعى

يالها لوعة أسعرت وقد الضلوع ، ومالت الى الصبر فأزوت منه الأصول والفروع ، وصبابة صبت النفس اليها ، ووقفت لامتثال الأمر طائعة بين يديها ، وغراماً يلازم غريم الفؤاد ، ويتكلم من الدموع بألسنة حداد ، وشوقاً الى تلك الليالى المستنيره ، والايام التى يطول الشرح فى وصف محاسنها وان كانت قصيره

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل　　والدهر يقضى لنا من وصلك الغرضا
لئن تعوضت عنى غير مكترث　　فعنك ما دمت حياً لم أجد عوضا

الى الله أشكو جور أحباب ، لا شك فى ظلم ظلمهم ولا ارتياب

ساروا وسر الوجد قلبى أودعوا　　ياليتهم يوم النوى لو ودعوا

أفديهم غائبين أطالوا شقة البين ، ونازحين سكنوا القلب حين غابوا عن العين

رحلوا عن الأوطان لكن فى الحشا　　نزلوا وما راعوا ولكن روعوا

كيف العمل عز الاحتيال ، هـل من طريق الى منزلة الوصال

يا صاح ان ظباء جيران النقا   جاروا علىّ فدلنى ما أصنع

أحسن بهم ظباء غير أوانس ، كم أسهرت العشاق عيونهم النواعس

نفروا وما التفتوا وعادة مثلهم   يتلفتون اذا نفاراً أوقعوا

أيها المغرم باللوم والتفنيد ، لا تتعب نفسك فى مالا يجدى ولا يفيد

قسما بهـم مالى غنى عنهـم ولو   أمسيت كاسات الأسى أتجرع

كف كف العذل والتأنيب، فلست أحول عنهم ولو برانى النحيب

وأنا المقيـم عن محبتهـم وان   حفظوا عهودى فى الهوى أوضيعوا

نعم أقيـم على الود والمحبة ، وأرعى رب الخال ولو اشترى قلبى بحبه ، واحفظ زمام الذمام ، واصـبر فى هاجرة الهجر على الأوام ، وأتعلل بلعل وعسى ، واحتمل مشقة آسى جرح الأسى ، وأتعلق بأذيال ضيف الطيف ، وأتشبث بأن أوقات الفراق سحابة صيف

وأطوف فى تلك الديار مسائلا   عن أهلها أبكى على ما قد جرى

لله بعـد البعـد حمر مدامع   بنضارها المبذول قد أثرى الثرى

وقد علم الله ان يوم النوى ، أضعف بنا جسدى بالهوى فهوى، وأحال صبغة حالى ، وسقانى كأس بعـد مذاقها غير حالى ، فعـدت ذا سكر دائم ، وعناء تحل دونه عقد العزائم ، القلب مأوى الهموم ، والطرف موكل برعى النجوم ، والـكآبة فى الخاطر خاطرة ، والعين الى نحو الطريق ناظرة ، وأسياف الضنا تجرح الجوارح ، وسـهام الجوى تجنح الى الجوانح ، لا أعرف لذّة الوسن ، ولا أمل من السير فى حزن الحزن ، ولا أرد الماء النمير ، الا ويلفحه من كبدى حرّ السعـير ، ان مرّ الفـكر فى خلدى شرحت له صـدرا ، وان دعانى الذكر الجميل مرة لبيته عشر ، ولولا رجاء العود والاياب ، لا تقصمت

من قوى حياة العليل عرى الأسباب ، فتباً لأيام الصدّ والقطيعة ،
وسقياً لاوقات كانت على رغم العدا مطيعة ، حيث الاوطان عامرة
ووجوه الأوطار ناضرة ، وأغصان العيش مائدة ، وصلة الأحباب عائدة

وسعاد تسعدنا بروضات الرضا ‏ ‏ ويعمنا منها سنا وسناء
لهفى على ذاك الزمان وطيبه ‏ ‏ فلفقده أنا والخلال سواء
أمبشرى برجوعه لك عن رضا ‏ ‏ روحى وما ملكت يداى فداء

والله المسئول فى بلوغ الامانى ، وباحة ممنوع التلاقى والتدانى ،
واجتماع المشوق بأهل وداده ، ونصرة المظلوم على أعدائه وحساده ،
فانه نعم المولى ونعم النصير ، وهو على جميعهم اذ يشاء قدير

﴿ الفصل الخامس عشر فى الاستعطاف ﴾

أيها المعرض الهاجر ، الذى سعى لضده دمع صبه عن المحاجر ،
رفقاً بمن ملك الوجد قيادة ، وعطفاً على من أذاب الشوق فؤاده ، متيم
أقلقه فرط صدودك ، ومغرم أغراه بحبك قول حسودك ، وسقيم
لا شفاء له دون مزارك ، ومقيم على عهدك ولو طالت مدة نفارك ،
الى م هذا التنائى والنفور ، وعلى م ياذا القد العادل تجور ، لقد تضاعف
الاسف والاسى ، وتطاول التعلل بعل وعسى ، وفنى حاصل الصبر ،
ولم يبق الا المقابلة بالجبر

هبنى تخطيت إلى زلة ‏ ‏ ولم اكن أذنبت فى ما مضى
أليس لى من بعدها حرمة ‏ ‏ توجب لى منك جميل الرضى

نعم لى حرمة وذمام ، وسابق خدمة توجب رفع الملال والملام ، ولست
ألوذ إلا بباب نعمك ، ولا أعتمد فى محو الاساءة الا على حلمك
وكرمك ، وما جل ذنب يضاف الى صفحك ، ولا عظم جرم يطرد

غراب ليله بازُ صبحك ، ومثلك من يسد الخلل ، و يغفر الخطأ والخطل و يقيل العثرات ، و يتجاوز عن الهفوات ، و يسمح بالعفو متفضلا ، و يزيل القبض عن بسط العذر متطولا ، فلا تخدش وجه رضاك بالغضب ، ولا تجمع لمن أسره التفريق بين العتب والتعب ، ورق على عبد رقك ، وأره الدجى والضحى من فرعك وفرقك ، وأذقه أرى وصالك ، كما جرعته شرى انفصالك

وكنت أظن أن جبال رضوى　　تزول وان ودك لا يزول

ولكن القلوب لها انقلاب　　وحالات ابن آدم تستحيل

طالما آنستني بقربك ، ودنوت مني فارقاً ظباء سربك ، واعتنيت بأمري ، وأخمدت برضاب ثغرك جمري ، وانجزت وعودي ، واطلعت نجوم سعودي ، وأطات سروري وابتهاجي ، وأصلحت بشراب وصلك مزاجي ، وجلوت طرفي بمحاسن طلعتك ، ورويت ظمائي بالعذب الفرات من شرعتك

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي　　ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لي بالعين التي كنت مرة　　الىّ بها في سالف الدهر تنظر

قيدت أملي عن سواك ، و بهرت ناظري بنظرة سناك ، وضاقت بعدك علىّ المسالك ، وغدت مطالبي محفوفة بالمهالك ، وكسرت جيش قراري وتركتني لا أفرق بين ليلي ونهاري ، أحول حول الديار ، وأعوم في بحر الافكار ، وأتمسك بعطف عطفك ، وأتعلق بأذيال مكارمك ولطفك ، أما علمت أن الكريم إذا قدر غفر ، و إذا صدرت من عبده زله أسبل عليها رداء العفو وستر ، وان شفيع المذنب اقراره ، ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره ، ومن أبدل باعترافه الحجة ، فقد استوجب أن يسلك في مسامحته أوضح المحجة

ومن كان ذا عذر لديك وحجة   فعذري اقراري بأن ليس لي عذر

لهفي على عيش بسلاف حديثك سلف ، وأوقات حلت ثم خلت وأورثت التلف ، وزمان ولى مجانبا ، وحبيب ذهب مغاضبا ، واهاً لايام بطيب أنسك مضت ، و بروق ليال لولا قربك ما أومضت

ما كنت أعرف في الهوى مقدارها   رحلت وبالاسف المبرّح عوضت
كيف السبيل الى اعادة مثلها   وهي التي بالبعـد قلبي أمرضت

الى كم أموه وأغالط ، وأجاهد في سبيل الصبر وأرابط ، واكلف اللسان ، مكابدة حمـل الكتمان ، وأسر من الصـبابة ما أعلنه دمـع الاجفان ، أتكتم رائحة الطلا ، وهل يخفى على ذوى الابصار ابن جلا لقد برح الخفاء وأطلت يارقيق الحاشية شقة الجفاء ،وأشمت الاعادى ومددت ظـل التمادى ، وزدت في الهجر والبعاد ، وكلمت القلب بألسنة الصعاد ، فجد بالتدانى ، واسمح بنيل الأمانى ، وارحم والهاً أبدت ظلمة الفراق فرقه ، وتصـدق على مدنف سائل دمعه يقبل الصدقه ، وألن قلبك القاسى ، وعد عن التنائى والتناسى ، وارع الودّ القديم ، وأبدل شقاء محبك بالنعيم ، ولا تعدل عن منهاج المعدله ، وسلم فقد أخذت حقها المسألة ، واغمد سيف حيف صيرته مسلولا ، وأوف بالعهد ان العهد كان مسئولا

﴿ الفصل السادس عشر في مجلس الشراب ﴾

كان لى صديق ، مغرى بشرب الرحيق ، غزير الفضل والآداب كثير اللهج بذكر مجالس الشراب ، وكان يود حضورى عنده ، وأنا لا أبلغه مما يود قصده ، فأتانى حيناً من الأحيان ، يدعونى الى مجلس بعض الأعيان ،وألزمنى بأن أحالفه ،مقسما على ان لا أخالفه، فأجبت

الى المحاضره ، مشترطاً عدم المعاقره ، فقال أجل أيها الأجل وسآتيك اذا هزم النهار واضمحل ، فلما آنس قدوم الليل ، آب يسحب سحائب الذيل ، وهو يقول

يا من به ينفى الكمد ويثبت العيش الرغد
جد بالوفا قد آن أن ينجز حر ما وعد

فمضيت بصحبته الى دار ، جرى بها فلك السعد ودار ، عالية الجناب ، رفيعة القباب ، فاخترقنا أستارها ، واجتلينا أقمارها ، حتى انتهينا الى مجلس فسيح ، قدح الفائز بأقداحه غير منيح

لا تسمع الآذان فى جنباته الا ترنم ألسن العيدان
أو صوت تصفيق الجليس ونقره وبكاء راووق وضحك قنانى

يشتمل على ندمان ، لا يسمح بمثلهم الزمان ، حاشيتهم أرق من النسيم ، ومزاج كاساتهم من تسنيم : ان نظموا أودعوا أصداف المسامع درا ، وان نثروا نفثوا فى عقد العقول سحرا

تنازعوا درة الصهباء بينهم وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب
لا يحفظون على النشوان زلته ولا يريبك من أخلاقهم ريب

بينهم سقاة حسنت صفاتهم ، وتكفلت بالانصاف كفاتهم ، كم فيهم ذو وجه جميل ، ودّه صحيح وجفنه عليل ، سمهرىّ القوام ، جوهرى الكلام ، تنعطف الاغصان سجداً لعطفه ، ويسقى بطرفه أضعاف ما يسقى بكفه

ساق غدا يحكيه من بان النقا وريقه
واظماء وكالزلا ل خمره وريقه

بأيديهم أقداح ، تفتح أبواب الافراح ، مباسمها مفترة ، وملا كها ملوك كاسرة على الأسرة ، النور ضمن أزارها ، ومعدن الذهب فى قرارها ،

تعدل وهى جائرة ، وتنشد وهى دائرة

صل الراح بالراحات واقدح مسرّة باقداحها واعكف على لذة الشرب
ولا تخش من ذنب فأوراق كرمها اكفٌ غدت تستغفر الله للذنب

وأباريق تسجد لربها ، وتقبل الأرض لدى صبها ، كم أصلحت فساد مزاج ، وأوضحت منهاج ابتهاج ، تحكى أوزاً معوجة الرقاب ، أو ظباء أشرفن من ذرى الهضاب

وكأنما الأبريق عند ركوعه والأثم يلثم ثغره المنعوتا
طير بمنقار له من لؤلؤ لما أسف تناول الياقوتا

واكواب ، معصفرة الأثواب ، تغنى عن المصباح ، وتهدى ريح التفاح ، تبعث على الحماسة والسماحة ، وتتعب سوق ساقيها القلب وهى فى راحة

لله أكواب هومى حرمت لما أباحت خمرها المسكوبا
نار ولم تحرق وان أنكرت ما أوردته يا صاح فالمس كوبا

وكؤوس ، تسر بحسنها النفوس ، ثغورها باسمة ، ومناهلها لمادة الاسى حاسمة ، تحمد عند الصبوح والغبوق ، وتشرح الصدور فى حالتى الغروب والشروق

ولرب ساق محسن فى كفه كأس برؤيتها نفى عنا العنا
وعلى ذراها ليس يبرح ناصباً شبك اللآلى كى يصيد لنا الهنا

وينطوى على قيان ، ينشدن البديع من سحر البيان ، لهن أصوات توقظ أعين اللذات ، يشنفن الأسماع ، ويتقن أجناس الايقاع

قيان حكين البدر حسناً وبهجة زمان الذى يحظى بهن وسيم
اذا هنّ القين الغناء بمجلس فمعبد عبد والغريض هشيم

دبيقي الملابس ، عتيق القلانس ، وافر الأدب والهمة ، لا يبرح واقفاً فى الخدمة

من كل هيفاء تهوى الشمس رؤيتها بكت وأنت فلاح الماء واللهب
تحلى على الشرب فى ثوب لها يقق كحية من لجين رأسها ذهب

وفيه أنواع من الشراب ، تلمع فى أوانيها كلمع السراب ، فمن خرطوم ، تخفى بدر حبابها النجوم ، وشمول ، تشمل القوم بالقبول ، ومشعشعة ، منازل كواكبها مرتفعة ، وعاتق تقدم عصرها ، وخف على النديم أمرها ، وخابية حانية ، قطوف كرومها دانية

وطوس وقنديل عقار وقرقف مدام واسفنط سلاف وجريال
طلا وسباء والحميا وقهوة كميت شموس خندريس وسلسال

الى غير ذلك من روح وريحان ، ومحاسن واحسان ، ومسموع ومشموم ، ومشروب ومطعوم ، وعود يحرق ويحرك ، ومسك فى الصحاف يفتت ويفرك ، وقريض ينشد ، وعرف ضائع لا ينشد ، وبمّ وزير ، وجنة وحرير ، وزهور ومزاهر ، وملح ونوادر ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون

أيا نديمى لو شاهدت وقفتنا فى مجلس اللهو حيث الخصم مغلوب
والدف والدن مضروب ومنكسر والزق يذبح والراووق مصلوب

وبالجملة فانى عاينت من التفضيل ، ما يغنى عن التفصيل ، وكاد ثقيل الطرب يستخفنى لولا عناية الملك الجليل ، ثم نظرت واذا أمر القوم قد اضطرب ، والعثرفان يخبر عن ذنب السرحان بحسن المنقلب ، فأشرت الى صاحبي بالنقلة ، وعرفته ان الليل قد عزم على الرحلة ، فقام يهتز من السكر اهتزاز الافنان ، وانصرفنا أنا أمشى كالرخ وهو يمشى كالفرزان ، فلما صرنا الى البيت ، خر صعقاً كالميت ، فجلست

معرضاً عن الكرى ، متفكراً فيما قد جرى ، لائماً نفسي على اتباع الهوى ، ذاماً لها على معاشرة من ضل وغوى ، ثم انى ملت الى الاستغفار ، وسألت العفو من العزيز الغفار ، ولذت كما قال الحريرى بالمتاب ، وآليت ان لا أحضر ما دمت حياً مجالس الشراب

﴿ الفصل السابع عشر فى الشيب والخضاب ﴾

رأيت بعض مشايخ الأصحاب ، وهو يتعاطى ما يتعاطاه الشباب ، فقلت يا من وعظه الشيب ، جاءك النذير بلا ريب ، فاصرف عين العيب ، واتق عالم الشهادة والغيب ، نأت الغرابيب السود ، ورنت البزاة واثبة كالاسود ، وظهرت غرة القمر ، وأومض البرق فى ليل الشعر ، ورمى فاحم الفود بضده ، واشتعل المبيض فى مسوده ، قدم رائد الهداية ، وزائد الغواية ، وطليعة العفاف ، وزريعة الانصاف ، ومظنة الوقار ، ومشرق الأنوار ، نخل الخلال الجانية عليك ، وأحسن كما أحسن الله اليك

انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت فى خلالها الأزهار

من شاب عذاره ، لم تقبل أعذاره ، من عزل شبابه ، ولى مصابه ، من لمع ضوء فرعه ، تفرق شمل جمعه ، من كبر ذوى عوده ، وغابت سعوده ، وافل نجمه ، ووهن عظمه ، وضعف بعد القوّة جسمه ، وخمدت منه الانفاس ، ونفرت عنه ظباء الكناس

لو كان عمر الفتى حساباً كان له شيبه فذالك

يا من ادركه المشيب ، اترك الغزل والنسيب ، وارجع الى الله من قريب ولذ بالمتاب ، واعدل عن الخضاب ، واخش نصول الفضول ، ودع من يزور ثم يزول ، لا تطمع بوصل الحسان ، واكتب لهن تسريحاً

باحسان ، واحـذر منهنّ العـدو الازرق ، واسبق الى منعهن من قبل ان تسبق

عـذر الـكواعب انهن كواكب لا يجتمعنّ مع الصباح اذا بدا

فنظر الىّ ملياً ، وقال لقد جئت شيئاً فرياً ، يا هذا أنت ناصح أمين ، أم ذابح بغير سكين ، نكست الاعـلام ، وفتنت الاحـلام ، ونمت الوعيد ، وجلت فى ميدان التهـديد ، وآثرت نيران التلف ، ودثرت عفا الله عما سلف ،وادنيت غمام الغم،ومدحت مايستحق الذم

ما رأينا المشيب الا كثلج أبيض بارد قليل المقام

واهاً له من زائر ، يظهر العـدل وهو جائر ، يأبى من الشهب على كل ضامر ، ويخرب من الاعمار كل عامر ، ولا يرجى لسلبيه عوض ، ولا يقضى لصاحبه غرض ، ناع ينغص لذة الرفاق ، وساع يطوف بحرم الفراق ، وملول لا يعتنى بحفظ ميثاقه ، ورسول معجزته الخوف من اجتماعه والفرق من فراقه

له منظر فى العين أبيض ناصع ولـكنه فى القلب اسود اسفع

غرة مرة ، ونور ليس معه مسرة ،يبلى الجديد ، و يصيد الصنديد ، ويعتدى على الشباب ، ويفرق بين الأصحاب ، ويسود ببياضه اللون ، وهو عنوان فساد الـكون ، رفعت عنـد نصحك مقـداره ، ونفيت قاره وأثبت وقاره

وأىّ وقار لامرئ عرّى الصبا ومن خلفه شيب وقدامه شيب

ثم انك رثيت، وما رثيت، ومريض المشيب عن معالجة الخضاب نهيت ، وأطلت التعنيف ، وأكثرت الاراجيف ، وسقت الشائب الى رمسه ، ومنعته من التصرف فى نفسه ، وبسطت شقة الشقاق ، أما سمعت قول الوراق

للضيف ان يقرى ويعرف حقه　　والشيب ضيفك فاقره بخضاب

فقلت له الى م يختفى الزامر ويتستر ، وحتى م يكتم السكتة شيئاً بعد ثلاث يظهر ، وهل يرد التمويه ما مضى ، أو يخمد ما. الصبغ جمر الغضا

تستر بالخضاب وأى شيء　　ادلّ على المشيب من الخضاب

فقال قد أطلت الملام ، واثخنت القلب بكلام الكلام ، ونشرت رداء الرد ، وزاد سيف عذلك فى الحد

لمع المشيب وبعد عندى صبوة　　يبلى القميص وفيه عرف المندل

يا هذا انى لا علم ان الخرق يتسع على الراقع ، وان التمادى فى التصابى سم ناقع ، لكن الفطام صعب ، وكل أحد لا يمكنه رأب الشعب ، وترك منصب الامارة ، شديد على النفس الامارة ، وهى الى حضرة الخضرة تميل ، وعلى الله قصد السبيل

لعمرك ماخضبت بياض شيبى　　رجاء ان يعودَ لى الشباب

ولكنى خشيت يراد منى　　عقول ذوى المشيب فلا تصاب

وأنا استغفر الله من الزلل ، واستعين به على سد الخلل ، واتوكل عليه انه جواد كريم ، واتوب اليه انه هو التواب الرحيم

﴿ الفصل الثامن عشر فى الخيل والابل ﴾

وفد علىّ يوماً ذو ألوك ، يدعونى الى حضرة بعض الملوك ، فلبيت مناديه ، ويممت فى الحال ناديه ، فرحب بى على عادته ، وقرب مجلسى من وسادته ، ثم قال لى عرض لى ان أعرض العتاق ، واتبعها بالنجائب من النياق ، فأحببت حضورك وقصدت نزهتك وسرورك ، فشكرت فيض فضله ، ودعوت بتوفير خيله ورجله ، فلما

استتم المقال ، الا والنجائب تقاد بأيدى الرجال

(فمن اشهب) يمق ، ان طلب لحق ، وان طلب سبق ، طرف يحار الطرف فى حسنه ، ويرى الناظر شخصهْ فى مرآة متنه ، بعيد المنار والمنال ، طلعته الفجر وسرجه الهلال ، لا يخطر معه الخطار ، ولا تعلق الغبراء له بغبار ، يهتدى فارسه من حافره بسنا السنابك ، ويغتدى عن امتطاء صهوته من الذين ينظرون على الارائك ، (ومن أدهم) غربيب لا يعلم أجنوب هو أم جنيب ، يسبق السيل فى السير معقود بناصيته الخير ، ينساب كالثعبان ، وينعطف انعطاف السرحان زاد على زاد الراكب ، وزاحم النكباء بالمناكب ، يسلب العقول بحسن دسيعه وتليله ، ويخطف الابصار برق غرته وتحجيله ، (ومن اشقر) خلوقى الجلباب ، ألبسه الاصيل حلة تفتن الالباب ، الراح تحكيه فى لباسه ، والرياح لا تقدم على مجاراته لباسه ، متقلد بالذهب ، متقلب فى اللهب ، يشفق من مناظرته الشفق ، ويسرق من لين شعره السرق ، ينقص الزائد لديه ، ويفوت أعوج ثم يعوج متهكما عليه (ومن كميت) طاب عرفه ، واسود ذنبه وعرفه ، أسيل الخدين ، بارز النهدين ، عندمى اللباس ، يجول بين الظباء والكناس ، ان وثب ألحق العنان بالعنان ، وان وقف عاينت فى كل عضو منه وردة كالدهان ، يجد السير فى حزن الفلاة وسهلها ، ويرد الوديعة محمولة الى أهلها (ومن اصفر) لونه فاقع ، كم له فى الحلبة من طائر خلفه واقع ، ينتمى الى الحبشان ، ويعير بلونه الزعفران ، الدجى على عرفه قابض ، وماء القار على ذيله فائض ، فى الرياض الشمسية ويسبح فى الجداول الورسية لا يمل من التقريب والالهاب ، ويأتى من عدوه بغرائب يشيب منها الغراب (ومن أخضر) حسن وشيا ، وراق للعيون جريا ومشيا ، زرزورى الاهاب ، يجمع

بين الشيب والشباب ، زبرجدى الحافر ، أين منه الغزال النافر ، يظهر عجز مكتوم ،وتخمد عنده جمرة اليحموم، يخجل بتفويفه الرياض ويسابق أسهم راكبيه الى الأغراض (ومن ابلق) عظمت فصوصه واشتهر حسنه وشهر قميصه ، طويل الحزام والذيل ، وهامته من الصباح وشامته من الليل ، يمرح فى جلالة جلاله ، ويولع اذا غابت الخيل بمسابقة خياله ، يحط الوجيه عن أوجه ، ويغرق الفياض فى موجه ، يسبق النعامى والنعامة ، وينظر بعين زرقاء اليمامة

جرد بهن لكل عين جنة فاذا جرين أتين بالنيران
يحكين فى البيد النعام رشاقة ويسرن فى الانهار كالحيتان

ثم ان الملك أمر برد الجنائب ، وأذن فى عرض النجائب ، فأقبلت تهادى صحبة سواسها ، وتتبختر فى مصبغات أكوارها واحلاسها (فمن جسرة) لونها أحمر ، وليل سراها واضح أقمر ، عنكرة عيطموس، تميل اليها الخواطر والنفوس ، موارة اليدين ، بعيدة وخد الرجلين ، أنحلها التسيار ، وهذبتها الاسفار (ومن سرداح) لونها أرمك ، يكاد خيال السماك بها يمسك ، ملية بالذوح والآساد ، تخالط حمرتها السواد جميلة الصفات مرقال، حسنة الشمائل شملال، رحبة الصقل والخطى لا يعرف لها عدول عن الطريق ولا خطا (ومن رقوب) لونها أزرق تطفو فى بحر السراب كالزورق ، ظهيرة دوسرة ، منوفة بهزرة ، تطس الآكام ، وتثب فى أثواب ورق الحمام ، موصوفة بالاعصاف، معروفة بالاعناق والايجاف (ومن أمون) لونها جون، وكون مثلها من محاسن الكون ، تميل ان شبهتها الى الدجى، ولا تمل من السير ولو براها الوجى لها نخذان لحمهما وافر ، وذنب تكنفه جناحا طائر ، تفوت الريح فى خطراتها ، وتطأ جمر القيظ بجمراتها (ومن وجناء) لونها أصهب ،

ور باطها الدمقسي مذهب ، ترعى الحدائق ، وترعى الحادى والسائق ، شكول عسيور ، تسامى رأسها أعواد الكور ، غائرة الاحداق ، سريعة الاندفاع والانطلاق (ومن مصباح) لونها أغبش ، وكل من قوائمها أحمش ، يخالط بياضها شقرة ، يولد الاجتماع بها طريقاً الى النصرة ، هوجاء دفاق ، روعاء مزاق ، ترض الحصا برضها ، وتستطلع الأخبار بنصها (ومن شمردلة) لونها أحوى ، مهارق البيد بغيرها لا تطوى ، تجوب القفار ، وتجوس خلال الديار مشفرها رقيق رسبب وظيفها وثيق ، تختال فى شنفها وزمامها ، وتدهش الابصار بسنا سنامها

وخرص غدت سفن المهامه والفلا ... ألم ترها تطفو على بحر آلها
تخط حروفاً بالمناسم فى الثرى ... يقصر عن تحريرها ابن هلالها

فلما تكامل العرض بعد الطول ، وأفلت أقمار الابل وغابت شموس الخيول ، أخذ الحاضرون فى تذكر أشكالها ، وأفاضوا فى نعت محاسنها وجمالها ، ثم ان الملك أمر باحضار الطعام واشتغل الناس بالمائدة عن الانعام ، فقمت مبادراً الى الذهاب ، متفكراً فى رزق الله لمن يشاء بغير حساب ، قائلا فاز المخفون وهلك المثقلون ، تالياً وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون

﴿ الفصل التاسع عشر فى الوحش ﴾

هفا بى هيف الأسفار ، وطوحنى بين أنكر صحبة الاسفار ، الى خرق متسع الجوانب ، تطول على سالكه سبائب السباسب ، فصرت أطوى خيفه وصمانه ، وأرض جلاميده وصوانه ، الى أن دنت الشمس من الزوال ، وآل أمر الظامئ الى رؤية الآل ، فبينما أنا أرود لأرد ، لاح لعينى غدير مطرد ، فأتيته مسرورا ، ونهلت منه

ماء مقرورا ، ثم توضأت لأداء المكتوبة ، وأبرد بالصلاة ماصلى من الجوارح المكروبة ، ونظرت فاذا تلعة من التلاع، مشرفة على اليفاع من تلك البقاع ، فاقتعدت ذروتها ، وتلقيت للقيلولة هضبتها ، فما استقر المجلس بى ، ولا بلغت من الراحة أربى ، الا والغبرة قد نشرت ، والوحوش للورد قد حشرت ، (فمن أسد) ورد ، شديد البأس عرد صعب المراس ، بين جفنيه مقباس ، ششن الكف ، لا يرهب من ابطال الصف ، ملك مهاب ، تبرىء الاهاب ، حديد الظفر والناب ، يخلفه الشبل ان غاب عن الغاب ،

متخضب بدم الفوارس لابس　　فى غيله من لبدتيه غيلا

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه　　فكأنه آس يجس عليلا

(ومن نمر) شرس الاخلاق ، دم الفريسة بين يديه يراق ، الجلبة ضمن جلبابه ، والنوائب كامنة فى أنيابه ، وثباته لا تنكر ، وثباته أشهر من أن يذكر ، يقطع الطريق ، ويحب شرب الرحيق

أحسن به من النمور اهرتا　　يحار فى تدبجه أهل الحجا

اذا بدا يريك من اهابه　　طرة صبح تحت أذيال الدجا

(ومن فهد) خصره رقيق ، وعقد فقاره وثيق ، واضح الجبين ، أفطس العرنين ، كم فرى من فرا ، واجترح واجترا ، وظفر فظفر ، وتخفر به الصيد فما خفر

فهد كحيل المقلتين مرقش　　جهم المحيا لا يمل من الحمق

والليل فيه والنهار تغايرا　　لله ثوب ألبساه من الحدق

(ومن دب) مختلف الطباع ، يأكل مما تأكله الدواب والسباع ، بعيد مقترب، مغرى باللهو واللعب، كثير الشهوة، قليل الغيرة والنخوة، يقبل التعليم والتأديب ، ويأتى من بحر فطنته بكل عجيب

وذى وبر قوى مصلخد تراه يدب ما بين الدباب
له ظفر اذا ماعنّ صيد له ظفر وناب غير نابى

(ومن ضبع) حضاجر ، كنيتها أم عامر ، موصوفة بالعرج ، تفترس من دب ودرج ، تشتهى السفاد ، وتميل الى الفساد ، وتخرج من الوجار ، ولا ترعى حق الجار ولو أجار

صنعنا جميلا قابلونا بضده وهذا فعال الخائنات الفواجر
ومن يصنع المعروف فى غير أهله يجازى كما جوزى مجير أم عامر

(ومن ذئب) أطلس ، عمرو عسعس ، يسطو بأنياب حداد ، ويألف الوحدة والانفراد ، الغدر له شيمة ، والغنم لديه غنيمة ، صبور على السفر شديد الخوف والحذر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

(ومن ثعلب) رائغ ، زائل عن الطريق زائغ ، وافر المكر والحيل يضرب بخديعته المثل ، حسن اللباس ، يرتدى بالسندس والقرطاس ، يحب الدجاج والحمام ، وربما أوقعه فى شرك الحمام

يطير قلب الطير فى وكره مخافة من نابه النابل
لكنه يلقى الردى بعدها كم اكلة أجنت على الآكل

(ومن هر) يسبق المرهور ، حاد الناب والاظفور ، عيناه كالزجاج ، ومرطه كالديباج ، أخنس الانف ، لطيف محل الشنف ، يقعى اقعاء الاسد ، ويلوى من ذنبه حبلا من مسد

وهر أهرت الشدقين ضار له حسن بديع غير خافى
بكعبة ربه كم طاف سبعا ويغسل وجهه قبل الطواف

(ومن نمس) كميت اللون ، ما للطير والثعبان منه صون ، صائل صائد ، ظهره عظم واحد ، طويل الخطم قصير اليدين ، ليس له سوى

صماخين من الاذنين

(وظربان) يألف الظرابا ويقنص الحسول والضبابا
جلدته كالقد فى قوتها لا يقطع السيف له اهابا

(ومن سنجاب) أبلق ، بطنه أبيض وظهره أزرق ، يأوى الاشجار العالية ، ويسكن الاماكن الخالية ، جميل الملابس ، حسن اليلامق والقلانس

لله سنجاب بر ذو ناظر كالشهاب
فى الدوح يعدو ويبدو كقطعة من سحاب

(ومن فيل) له خرطوم طويل ، يشبه الصولجان ، ويحكى فى تلويه الافعوان ، وأذنان كالترسين ، تحتهما نابان كالرمحين ، عقبة كؤود ، شديد الغيرة حقود ، يرتاح الى الطرب ، وينخرط فى سلك العجب

وهندىّ كطود مشمخرّ ذكى القلب يفهم ما تقول
لقاء العسكر الشاكى عليه يهون لان منظره يهول

(ومن كركدن) كالجاموس ، تنفر منه الخواطر والنفوس ، قوّته شديدة وأسلحته عتيدة عديدة ، له اختيال فى مشيته ، وقرن غليظ فى جبهته يظهر بأرض الهند والحبشان ، فيخضع هيبة له سائر الحيوان

وكركدن كدن فى خلقه عجائب
له سلاح حاضر والعقل منه غائب

(ومن زرافة) حازت أنواع اللطافة ، بردها بالوشى ملمع ، وقرنها بالسبج مقمع ، طال جيدها جدا ، وجاوز عضب عجبها حدا ، عالية الصدر منحطة المآخر ، جميلة الاوصاف والمفاخر

نوبية المنشا تريك من الطلا روقاً ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقعاء من اعجابها فتخالها للنيه تمشى القهقرى

(ومن مها) ثم حسنها قد زها ، عنقاء عبهر ، خدها مضمخ بالعنبر ، تفتن العقول بأحداقها ، و يعز على القلوب غداة فراقها

عيون المها مهلا على ذى صبابة صبور على الهجران ليس يحول
يحن الى سلع ونجد وحاجر منازل فيها صحبكن نزول

(ومن أيل) ضباضب ، يحمى من قضب شجرتيه بالقواضب ، يأكل الافاعى ، و يحسن فى تحصيلها المساعى ، يشتغل بالصفير والطرب فيشتعل بنيران العطب

متشعب القرنين يدعى ايلا من دمعه بادزهر الحيوان

(ومن فرا) ليس فى حسنه مرا ، كل الصيد فى جوفه ، لا يستقر على الثرى من خوفه ، يميس فى برده القشيب ، و يطول عمره ولا يشيب

شغلته لواقح ملأته غيرة فهو خلفهن كمى

(ومن وعل) أرقب ، لا يفارق النفق والمرقب يحمى الأروية ، و يحتجب فى البر عن البرية ، يسكن فى الأماكن الوعرة ، و يصبر على شدة القرة والوغرة

ان شئت تلقى راهباً ذا رغبة فى شامخ عالى الذرى فالق الوعل
سامى التليل بالضياء مرتد من تيهه وبالظلام متنعل

(ومن ظبي) غرير ، متلفع بمطارف الحرير ، كحيل الطرف ، ذكى العرف ، جميل الصفات ، حسن الالتفات ، ان حضر أحيي الأرواح ، وان أحضر فات الرياح

غزال قد غزا قلبي باسياف من الطرف
له عطف به ميل ولكن لا الى العطف

(ومن ارنب) يرتع بين الشيح والزرنب ، بطنه يقق ، ومتنه شفق ، قصير اليدين ، ينام وهو ساهر العين

وارنب ذى وثوب فى سياحته أثوابه صبغت من ماء عقيان
اذاجرى فى فلاة خوف مقتنص تخاله كرة تهفو بميدان

(ومن قرد نسناس) فى خلقه ما يشبه الناس، خفيف الروح، يغدو فى الشواهق ويروح، نزيه يهفوف، بالفهم والذكاء معروف

احسن بقرد سريع الفهم ذى شبه بالآدمى وهـذا القـدر يكفيه
له لسـان ولـكن لا يوافقـه يكاد ينطق لولا عجمة فيـه

فلما عاينت من تلك الوحوش ما راقنى، وشاهـدت من أصنافها وأوصافها ما شاقنى، واجتليت محاسن عرائسها، وتنزهت فى رياض ملابسها، قمت من شكر بارئها بما يجب، وأعلنت بتوحيد رازقها من حيث لا تحتسب، وتلوت اذ أدهشنى جمعها وخلقها، وما من دابة فى الأرض الا وعلى الله رزقها، ثم انها مالت من الورد الى الصـدر، وتفرقت بعد الاجتماع شذر مذر، فنهضت عازماً على الاياب متوكلا على الـكريم الوهاب، عائجاً الى حيث أتيت، مثبتاً فى ديوان الغرائب ما رأيت

﴿ الفصل العشرون فى الطيور ﴾

أخـبرنى بعض الاخوان، أنه رأى بلدة من البلدان، متسعة الفناء، محكمة البناء، تروق العيون، وبحرك السكون، بالقرب منها واد خصيب، يشتمل من الاطيار على كل غريب، مديد الاشجار، منسرح الانهار، وافر الخير، يعرف بوكر الطير، فتقت الى رؤية ذلك الوادى، وحدا بى من الشوق اليـه حادى، فسرت أطوى البيد، وأصـل التحليج بالتخويد، الى أن أتيت اليـه، وأنخت راحلتى عليه، فعاينت منـه ماحقق مطالبى، ووجـدت به ماصاح بى كما قال صاحه.

وادٍ عليه من المحاسن رونق وبه طيور طاب عيش نديمها
أرجاؤه مشحونة بسباعها وكلابها وبغاثها وبهيمها

(فمن سنقر) شريف النجار ، رفيع المقدار ، القمر منظره ، والهلال منسره ، له ثوب أرقط ، بياضه بالسواد منقط ، حسن السلوك ، لا يصحب الا الملوك ، (ومن باز أشهب) جمر مقلتيه متلهب ، خفيف الجناح ، سريع النجاح ، يلمع فى الجوّ كالبارق ، وينقضّ انقضاض الطارق ، قويّ الافتراس ، يثب على الطريدة وثوب الهرماس

(وصقر) أحمر الجلباب شهم طموح العين معقود اللواء
يطير الى الفلاة يروم صيداً فيرجع بالارانب والظباء
(وشاهين) رحيب الصدر جون يجيد السبح فى بحر الفضاء
اذا الكركى لاح سما اليه وعاجله بمحتوم القضاء

(ومن كوهية) حالية الحلة ، تجلى كالعرائس فى الاكلة ، ملابسها مدبجة ، ومخالبها بدم القلوب مضرجة ، ذات درع ظلها ضافٍ ، منتظمة القوادم والخوافى ، تمرّ مرّ السحاب ، وتأتى بما لم يكن فى الحساب ، (ومن باشق) فرعه مع صغر حجمه باسق ، زعرور الاخلاق ، ذهبي الاحداق ، شاكى السلاح ، محمود الغدو والرواح ، يمرق كالسهام ، ويوقع الحمام فى شرك الحمام

(وطاوس) أعار الروض لما مشى فى اللازوردى المدثر
يلوح على المفارق منه تاج بديع تاج قيصر عنه قيصر
(وديك) عرفه من أرجوان وجؤجؤه من الوشى المحبر
يرى سهر الدجى حتى اذا ما دنا الاصباح هلل ثم كبر .

(ومن ببغاء) جميل الصفات ، قوى على حكاية الاصوات ، فهمه

صحيح ، ولسانه فصيح ، هنـدى الاوطان ، زبرجدى الاردان ، طرفه مركب من قار ، وله من الياقوت منقار ، (ومن هدهد) وافر الهداية ، نافر عن الضلالة والغواية ، يرى الماء فى باطن الفجاج ، كما ينظره الانسان فى داخـل الزجاج ، مرقوم الـبرود ، كثير الركوع والسجود ، يميـد فى حلله الفاخرة ويميس ، كأنما ألبسه سليمان تاج بلقيس

(ودراج) تبدى فى قميص نضـير الزهر زهرى أنيق
فصوص بنفسج فى ياسمين وريحان تشقق عن شقيق
(ومن حجل) يعاقيب عليها مروط أشبهت لون الدبيق
لها طرف تركب من نضار ومنقار تـكوّن من عقيق

(ومن قطا) يا له من قطا ، حسن المشى متقارب الخطى ، جيده مطوق ، ومبسمه بالزعفـران مخلق ، منقوش الازار ، كأنه عب من كأس عقار ، جناحـه مخضوب ، وصدره بماء الذهب مكتوب ،

(ومن يمام) يفي بالعهـد والذمام ، مشهور بالسجع ، معروف بالذهاب والرجع ، يألف الرياض ، ويرفل فى ثوب فضفضاض ، يؤدى الامانات الى أهلها ، ويتحرى فى رواية الاحاديث ونقلها

(ومن هزار) كامل المعانى حلو الحـلا منطلق اللسان
تراه ان غنى على العيـدان يطرب مالا تطرب المثانى
(وبلبل) بلبل قلب العانى حلتـه من أسود الجنان
قام خطيباً فى ذرى الاغصان يأمر بالعـدل وبالاحسان

(ومن ورشان) يودع المسامع أطيب الالحان ، نوبى الدار ، علىّ المنار ، شهىّ التغريد ، معبـدىّ الاناشيد ، يحسن الانغام ، ويغرى الخلى بالوجد والغرام ، (ومن قمرى) أخو القمر ، كم نهى

على منبر الايك وأمر ، ساجع مطراب ، أعجامه لذى المعارف اعراب أشهل العيون ، وفى جيده من خط القلم نون ، يستديم شكر الدائم ، ولا تأخذه فى التسبيح لومة لائم

(وفواخت) كدرية أطواقها مسكية والطرف منها أسود
طوراً تنوح على الغصون لفقد من تهوى وطوراً للوصال تغرد
(وغراب) تغريب فصيح اعجم داجى الاهاب مقامه لا يحمد
يهوى نوى أصحابه فاذا نأوا أضحى مقيما بالديار يعدد

فيالله من واد أنبت السرور ، وحوى أصنافاً جمة من الطيور ، لا أجمع بين أشخاصها وأسمائها ، ولا اتحقق شيئاً من أحوالها وانبائها فسبحان المتكفل بأرزاقها ، المباين بين طباعها وأخلاقها ، فلما سبرت سر الوادى ، تطلعت الى طلعة شمس بلادى ، فلويت زمام الراحلة وودعت من الطير نجوماً غير آفلة ، قائلا اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأوطان ، تالياً أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن

﴿ الفصل الحادى والعشرون في الكتابة ﴾

الكتابة ألهمك الله معرفة فضلها ، ولا حرمك نفع صداقة أهلها ، أشرف الوظائف والمناصب ، وأرفع المنازل والمراتب ، وأفلح صناعة وأربح بضاعة ، قطب دائرة الآداب ، وصدر أسرار الالباب ، ورسول صادق ، ولسان بالحق ناطق ، وسيف تحد بحده المعارف ، وميزان يميز التالد من الطارف ، تلحق خبر الحاضر بالغائب ، واليها تنتهى الآمال والرغائب ، بها تتم النعمة ، وتفصل شذوذ الحكمة ، تبرز ابريز البلاغة ، وتصوغ لجين الكلام أحسن صياغة ، لطف حواشي

رقاعها محقق ، وجدولها المسلسل على الريحان يتدفق ، قد تحلت بصحة الوضع والتركيب، وحلت بما حكت من أعضاء الحبيب، فاللام والالف كعذاره وقدّه ، والجيم كصغده المعقرب على خدّه ، والصاد والنون كعينه وحاجبه ، والميم فمه النائي عن رائد ورده بجانبه

لا تعد عن فنّ الكتابة انها   مغنى الغنى ومفاتح الأرزاق
واخش البراعة وارجها فهى التى   عرفت بنفث السم والدرياق .

والكتاب عماد الملك وأركانه ، وعيونه المبصرة وأعوانه ، وبهاء الدول ونظامها ، ورؤوس الرئاسة وقوامها، ملابسهم فاخرة ، ومحاسنهم باهرة ، وشمائلهم لطيفة ، ونفوسهم شريفة ، مدار الحل والعقد عليهم ، ومرجع التصرف والتدبير اليهم ، بهم تحلى العواطل ، وتبتسم ثغور المعاقل ، مجالسهم بالفضائل معمورة ، وبندائهم أندية القصاد مغمورة، يهدون الى الاسماع أنواع البديع ، ويزهون الاحداق فى حدائق التوشيح والتوشيع ، هم أهل البراعة واللسن ، وشيمتهم لف القبيح ونشر الحسن ، يميلون الى القول بموجب المدح ، ولا يملون من مراجعة الراغبين فى المنح ، دأبهم استخدام الناس بالمعروف ، وعدم التورية عن العانى والملهوف ، يجلون الكبير ، ويجلون الصغير ، ولا يخلون بمراعاة النظير ، لهم الى الخير رجوع والتفات ، وبالجملة فقد حازوا جميع جميل الصفات

كتبت فلولا ان هذا محلل   وذاك حرام قست خطك بالسحر
فان كان زهواً فهو صنع سحابة   وان كان دراً فهو من لجة البحر

بأيديهم أقلام ، تختلس بلطفها الاحلام ، صافية الجواهر ، زاهية الازاهر ، لينة الاعطاف ، ناعمة الأطراف ، تبكى وهى مبتسمة ، وتسكت وهى بما يطرب السمع متكلمة ، قد اعتدلت قدودها ،

وأشرقت فى سماء البراعة سعودها ، اسنتها مرهفة ، ومطارفها مفوفة تجتهد فى خدمة البارى ، وتبدى من دررها ، ما يفضح الدرارى تميس فى وشي ابرادها ، وتشرح الصدور بعذوبة ايرادها ، نشأت على شطوط الانهار ، وتعلمت اللحن من اعراب الاطيار ، طويلة الانابيب ، تسلب القلوب بحسن الاساليب ، تدهش الناظر وتخجل العامل ، ولا ترضى بامتطاء غير الانامل ، الشجاعة كامنة فى مهجتها ، والفصاحة جارية على لهجتها ، تبهر بالنضاره نواظر النهار ،وتطرز بالليل اردية النهار ،ان قالت لم تترك مقالا لقائل ،وان صالت رجعت السيوف مستترة بأذيال الحمائل ، سجدت للطرس فرفعت الى أعلى الرتب ، وحلت وشبت فلا غرو اذا سميت بالقصب

قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها كرم السيول وصولة الآساد

يكرع من دواة حالكة الحياض ،مشرقة الادواح والرياض ،جنية الاثمار ، مطعمة الاشجار ، ريقها رائق ، ونيل نيلها دافق ، تكشف غطاءها عن كل معنى انيق ، وتفتح فاها بكسر العدوّ وجبر الصديق ، شرفها ليس فيه نزاع ، وسقطها من انفس المتاع ، تحنو على أولادها طول المدى ، ثم تقط رؤوسهنّ ولا ذنب لهنّ بحد المدى ، سمت الى المعالى بنفسها ، وأعارت المسك السحيق بنفسها ، ترشد بنور جمالها ، وتنشد بلسان حالها

ن السعادة حيث كنت مقيمة والبحر أخبار الندى عنى روى
كم من عليل مقاصد ابرأته فأنا الدواة حقيقة وأنا الدوا

لله أطراسها التى أضاءت بمدادها ، وأشبهت عيون العين ببياضها سوادها ، وانطوت المحاسن تحت رق منشورها ، وصدحت حمائم

البلاغة على أغصان سطورها ، صحائف تنوب عن الصفائح ، وقراطيس تزف الى الاسماع عرائس القرائح ، ألبسها الحبر ، أثواباً من الحبر ، ودبجها صواب الفكر لا صوب المطر ، كم حازت من در منظوم ، وعلم لفظ بوشي المعانى مرقوم ، وفقر تفتقر اليها أجياد الحسان ، وغرر كلم تذهب العقول بسحرها وان من البيان

كتاب فى سرائره سرور مناجيه من الاحزان ناجى
كراح فى زجاج بل كروح سرت فى جسم معتدل المزاج

فاجتهد أعزك الله فى طلابها ، واحرص على الدخول فى زمرة أربابها وتمسك بأذيال بنيها تجد جواداً أو نبيلا أو نبيهاً ، وحسبهم شرفاً ان الله تعالى نوه بذكرهم فى العالمين ، ووصف الكتبة بالحفظ والكرم فقال ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين

﴿ الفصل الثانى والعشرون فى الحرب والسلاح ﴾

منع الجزية أهل الصليب ، فى عام عاموا منه فى بحر عجيب ، فأشار الأمير بالتأهب للنزال ، وأمر بتحريض المؤمنين على القتال ، فأخذوا فى الاستعداد ، وجدوا فى تحصيل الجياد ، فأحببت الدخول فى زمرة المجاهدين ، ورفضت قاعدة الذين قالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، فلما كملوا عدداً وعددا ، وتحروا فى أهبتهم رشدا ، ساروا الى جهة العدو المخذول ، وطيور السعد تحوم عليهم ولاتحول ، ياله من جحفل تحفل بالشوس ، وكتيبة تميل الى خضرتها النفوس ، وجيش عرمرم ، وخميس لهب أسلحته يتضرم ، وعسكر جرار ، وفيلق يتلو قل لن ينفعكم الفرار ، يهول المنظر ، مثار العثير ، قوى القلب والجناحين ، كأ لبيده الطولى من جناحين ، يدنى بعيد الآجال ، وينفر حتى الوعل

والآجال ، النصر من جملة آياته ، والظفر معقود براياته

محلى بالسيوف وبالعوالى وبالحلق الموانع والقسىّ
وفيه عيون دروع ناظرات الى الاعداء من طرف خفى
يجر الحرب منه سابحات تملك حسنها قلب الكمىّ
ألا لا تخش فيه ليل نقع فكم قد حازمن وجه مضىّ

منطوى على غضنفر كاسر ، وعقاب يصول من النصال بمناسر وذفر مشيع ، وباسل عمر خصمه مضيع ، وبطل ثبت الغدر ، وأحمش لا منجأ منـه ولا وزر ، وشهم أيام عداه مدلهمة ، وقذمّ صمة وما أدراك ما الصمة

من كل مرهوب السطار حب الخطا عرد المطاليث تأبط أرقما
يبدو هلالا فى سماء عجاجـة ويريك من زرق الاسـنة أنجما

اكرم بهـم شجعـة بروزا للكفاح ، واشتملوا على أنواع من السـلاح (فمن سيف) يفرى بحده ، ويأنف من المقام فى غمده ، أمضى من أمس ، أشرق من الشمس ، ينتقل من القراب الى الرقاب ويدب النمل منه على الذباب ، يروع ويروق ، ويخفى بلمعه البروق يتمايل كالخمائل ، ويتحلى فى حلى الحمائل ، يجتهـد فى هلاك النفوس ، ويبتسم حيث الأجل عبوس

ومهند ان قابلته فريسـة ينقض من جوّ القراب كأجدل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

الموت كامن فى غربه ، والحتف قريب من قربه ، ان جرد عاينت عيون الجراد ، ورأيته مطبوعاً على الجدال والجلاد ، وان سلّ حكم بقطع الارزاق ، وطفق مسحاً بالسوق والاعناق ، يرتعد لا من الخوف ويجـلّ فعله الماضى عن السين وسوف ، لم يبرح كارعاً من موارد

الوريد ، تالياً وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد

حسام وبتار جراز وصارم رسوم وقرضاب صنيع ومخذم
قثيب وصمصام وعضب ومرهف قضيب ومأثور ونصل مصمم
تهيل وهزهاز وأبيض قاطع رسول المنايا فى الدماء محكم

(ومن رمح) مثقف ، أسمر اللون مهفهف لدن القوام ، يبدل الكلام بالكلام ، له نصل مطعان ، وسنان غير وسنان ، صدق صادق ، مارق فى المارق ، يفرق الجموع ولا يفرق ، ويصيب العدى بناظره الازرق ، يستوفى النفوس وهو عامل ، ويضرب حاصل الكماة ولا يجامل ، لهذمه ألمع من الشهاب ، وكعبه أيمن من طلعة الكعاب ، فعله حميد ، وظله مديد ، سلب اللطف من الأغصان ، وتعلم الرعدة من جنان الجبان ، خطار عظيم الخطر ، خطى لا يخطئ فى قص الأثر طويل يقصر الاعمار ، قناة تجرى بدم الاذمار

وأسمر من رشف كأس الدما يهتز بالسكر اهتزاز الطروب
يبسط فى الاشراق بسط الردى ويقبض الأرواح عند الغروب

(ومن قوس) حنانه ، سحائب سهامها هتانه ، تطلع كالهلال فى سماء الرهج ، وتسبح فى الهواء سبح النون فى اللجج ، ضروح تسكن الضريح ، عطوف لكن لا على الجريح ، تبهر بأبهرها العيون ، وتبلغ المنى برسل المنون ، لها يد تمنح جميل الأيادى ، ورجل تسعى فى قتل الاعادى ، تضم شمل أولاد نوافر ، يصلن بلا أنياب ولا ظوافر ، ذو أجنحة تروع السباع ، مثنى وثلاث ورباع

عطوى مروح تريح المنبضين لها هتانة لفراق السهم مرنان
أولادها تدرك الأغراض عن كثب وناظر السيف قد أخفته أجفان

(ومن ترس) عنتر ، يفل به حد الأبتر ، جنة واقية ، ومنة باقية

جوب يجوب حرة الحرب ، ولا يمل من مـلاقاة الطعن والضرب ، يرى من الختل والختر ، معروف بالحماية والستر

لله جنـة جنـة لا يجتليها من طغى
من حل تحت ظلالها أنجته من نار الوغى

(ومن بيضـة) حسن ملبسها ، وزحم الفلك قونسها ، وصفها بديع ، وحرم حماها منيع ، الرؤوس بها محفوظة ، والنفوس بعيونها ملحوظة ، تعلو على المفارق ، وتطرق لهيبتها أجفان الطوارق

يا رائد الحرب تقنع واقتنع بمغفر أحسن به من مغفر
سامى الذرى عالى الجناب مانع ذمامه يوم الوغى لم يغفر

(ومن درع) سـتور ، روض وشيها منثور ، مضاعفـة دلاص ، منجية يوم لات حين مناص ، فضفاضة مسرودة ، ألوية النصر بها معقودة ، كأنها سراب بقيعة ، أو حباب يطفو على شريعة ، أو سلخ أفعوان ، أو لهب نار لم يشب بدخان ، تنظر بعيون الجنادب ، وتصبر على وخز العوالى والقواضب

يارب سابغـة حبتنى نعمة كافأتها بالسوء غـير مفنـد
أضحت تصون عن المنايا مهجتى وظللت أبذلها لـكل مهنـد

(ومن أشياء) يطول ذكرها ، ويعز على البليغ البارع حصرها ، ثم انهـم جدوا فى الرحيل ، وتمسكوا بالنص واتبعوا الدليل ، الى أن وصلوا الى بلد الأعداء سيس ، وأرهبوا بجمعهم الراهب والقسيس ، فسارعوا الى النزول ، وغصت بهم الوعور والسهول ، وصابحوهم بما أشقى مساءهم ، وناوحوهم بما دمرهم وساءهم ، ونادوهم بألسنة الحمام ، ونلجوهم برسائل السهام ، ونصبوا آلات الحصار لـكسرهم ، وأعـدوا ما اسـتطاعوا من القوة لقتلهـم وأسرهم ، وأحاطوا بأسوار المدينـة

وصدموها بمن فى آذانهم وقر عن الوقار والسكينة ، فلم تكن الا ساعة من نهار ، حتى تحرك البناء وانهار ، وسار السور بعد أن ماج ،وهوت بكواكب المنجنيق منــه الابراج ء فدخلوا البيوت من غير الابواب ، وجرعوا أعداء الدين مذاب العذاب ، وحصل أهل الشرك فى شرك القبضة وعجزوا عند قص أجنحتهم عن النهضة ، وتمشت فى مفاصلهم حميا السيوف ، وصافح الرغام وجوههم على رغم الانوف

لله در فوارس كم أقبلوا نحو الحروب ونافسوا فى وصلها
قوم اذا دخلوا معالم قرية لعداتهم جعلوا أعزة أهلها

ثم عاجوا لاقتلاع قلعتها ، ومالوا الى محطو أسطار بقعتها ، فقدموا اليها النقابة ، وحسروا عن وجــه الاجتهاد نقابه ، وباتوا يطلقون فيها ألسنة المعاول،ويعرضون عن رأى من قال وأين الثريا من يد المتناول فأصبحت على الخشب معلقة ، ثم عادت بذات الوقود محرقة ، فلم تمض عليها الا لمحة غافل ، حتى صارت الاعالى منها أسافل ، وأحيط بطاغيتهم وفرسانه ، وقبض على أعوانه وأعيانه ، ونزعت التيجان ، ونكست الصلبان ، وبلّ غليل السيف ، وارتفع الحتف والحيف ، وهدمت البيع والكنائس ، واستخرجت الذخائر والنفائس ، وأسر النســاء والاطفال ، وبلغ الطالب من الأموال منتهى الآمال ، وأعز الله جنده،وانجز من التأييد وعده، ومنّ بعوائد ألطافه الخفية،وجعل هام الملحدين لحوداً للمشرفية ، وما النصر الا من عنده ،وهوالمتصدق بجزيل رفــده على عبده ، ثم ان العساكر عادوا الى أوطانهــم غانمين سالمين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث والعشرون فى رمي البندق ﴾

برزت يوماً مع رفيق رفيق ، يسر بمنادمته سر الصديق ، لايخرج عن الواجب ، ولا يحجبه عن ذكر الجليل حاجب ، رفيع المقام ، صادق الكلام ، ينطق بالحكمة وفصل الخطة ، وهو لدائرة الفضل بمنزلة النقطة ، يجتنى من الرياض أزهار الرياضه ، ويعتنى بما يشرح الصدر ويزيل انقباضه ، ويحب معالى الأمور ، ويتقدم الى كل مقدمة تنتج السرور ، ويتمسك بما كان داعياً الى المروة ، باعثاً على امتثال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، قد ألف لخطبة الطير كل خطب مهول ، واعتاد خوض المنايا فأيسر ما تمر يه الوحول ، الى روضة أنيقة تهدى الانق ، وتضئ فى جوانبها وجوه الملق ، والغيم ممدود الرواق ، والطل دمعه يراق ، والجو مسكى الاهاب ، والشمس قد تواترت بالحجاب

والارض وشى والنسيم معنبر   والماء راح والطيور قيان

فنزلنا بفنائها ، وشممنا الارج من ارجائها ، واجتلينا محاسن أزهارها ، وطربنا لسماع نغمات أطيارها ، وقبلنا هناتها وهباتها ، ورعينا على كلا الحالين كلاها مع نباتها ، ورأينا بها عصبة من الرماه ، وفرقة تفرق منهم الابطال والبكماه ، فألممنا بحضرتهم ، وانتظمنا فى سلك زمرتهم ، فلما أنست بذراهم ، وآنست نار قراهم ، شاهدت قوماً نفوسهم أبية ومقاماتهم علية ، فى وجوههم سيما القبول ، ومعهم وصول بالوصول ، يرعون حق الذمام ، ويقتفون آثار الكرام ، ويرفلون فى حلل العفاف ويسلكون سبل الانصاف ، ويحفظون الحديث عن القديم ، ويثبتون الصحيح ويدفعون السقيم ، ويوقرون الكبير ، ويرضون من العيش

باليسير ، ويعتمدون حسن الوفاق مع الرفاق ، ويعرضون عن أهل العرض لعلمهم ان ماعندهم ينفد وما عند الله باق

أهل الاصابة ان قالواوان سمعوا   وللسماع كما للقول اعراب
كل يحاول ما يبغى الفلاح به   فالمبتغى واحد والناس اضراب

فلو رأيتهم وقد أتوا الى الخطة والتفوا ، وحملوا غير متحاملين واصطفوا ، وخطروا فى تلك المطارف، يؤمهم القديم الى جهة المواقف مسرعين الى الأخذ بالثارات ، متدرعين الغبار لشن الغارات

لعاينت قوماً فى مقامات عزهم   وقوفاً وكلا منهم قد ترسما
جفوا فى الظلام النوم كى يتقدموا   ومن سهر الليل الطويل تقدما

جماعة طريق حرمهم للنزيل قبله ، وحسن شيمهم للعقول عقله،

كم فيهم نبى خدأخجل الدمى،ورشيق قد جبل طرفه على سفك الدما
شغل الطيور بحسن منظر وجهه   فتوقفت فأصابها بالبندق

وكم لهم من دعرة وشطارة ، يقولون ما أهون الحرب على النظارة ، ونكتة غريبة يأتى بحرها بالعجب ، ومصطحب شريف وما أدراك ما المصطحب،ماألطف سجاياهم الطاهر،وأطيب أوقات وجوههم الناضرة

فى غدوة ومصبح ورواجع   ومصوغ وخوارج وعشاء

بأيديهم قسى قدودها رشيقة ، وملابسها مدبجة أنيقة ، من الطين اللازب نجمها ، ومن الدمقس المفتل لحمها ، أجاد خرمها الصناع ، وهذبت كماة الرماة منها الطباع ، كأنها حواجب مقرونة ، أو نونات معرقة موضونة ، أو أهلة مشرقة النور ، أو مناجل لحصادأعمار الطيور

حوامل اذا دنا نتاجها   تقذف من اكبادها كواكبا

ومعهم للرمى بنادق ، اسرع فى الاصابة من الفيالق ، كأنها كرات دورية ، تمر بهم عساكر الطيور المختلفة ، وهى تختال فى برودها المفوفه

ولم تدر أن أيد المنون اليها ممتدة ، وأن سيوف الحتوف لها معدة ، ان هبطت مسبقة أصابتها عيون اوتارها المبصرة ، وان نهضت محلقة فكرات قسيهم عنها غير مقصرة، فتسقط عليهم سقوط الندى، وتهوى اليهم مجيبة لداعى الردى ،

تهوى اليهم وتأتى   من كل فج عميق
يا حسن بدر منير   يسعى لصب مشوق

فبينما هم فى وجه غشاؤه أضاء بنور التهانى ، ولمعت فيه بارقة بروق الأمانى ، والليل قد أرخى بأستاره ، وأبرز من النجوم درهمه وديناره والانهار بسارية وسارحة ، والاطيار فى الملق سابحة وسائحة

نزه للطرف يا أخا الظرف ليلا   فى طيور أحسن بها من طيور
فوق وجه المياه تسعى وترعى   كنقوش قد خليت فى ستور

عنّ لصاحبي أوزة فضية اللون ، بينها و بين المرزم فى الحسن بون كأنما خاضت فى اللهب ، وكوعت من ماء الذهب ، تسبق الريح فى المطار ، وترتفع الى أن تغيب عن الابصار ، فرماها فى حال بعدها عن العيون ، وصرعها عاجلا أسرع ما يكون ، فحسنت له الجفة وباركت فيه ، وأظهر من سر الظفر ما كان يخفيه ، وخرج فرحاً بتحصيلها مائداً ، وحملها من كان له شاهداً ، ورمى لمن قبله وسبقه، وفى بحر الحمد والشكر غرقه، ثم تواتر الرمى من يد كل نبيه ونبيل ،وتفرقوا من ذلك الوجه على وجه جميل

كم طائراً للأرض أمسى واقعاً   بنجم قوس للسماء قد سما
من حيث لا يشعر يأتيه الردى   فأعجب له من صامت تكلما
لم يدر من أين أصيب قلبه   وانما الرامى درى كيف رمى

فلما شاهدت من أحوالهم ما راقني ، ومن نوالهم ما قيدنى عن

غـيرهم وعاقني ، أثنيت على من بهـم عرفني ، وبالطيب المسكي من أنفاسهم عرفني ، وقمت ناشراً وصف المواقف والاطيار ، قائلا على سبيل التشوق والتذكار

يا صاح قم نسعى الى الاملاق   فنحوها قد ذبت من أشواقي
لله ما أحلى حلى أوقاتها   وأملح الولدان فى جناتها
والجو يحلى فى ثياب دكن   يستلب اللب بفرط الحسن
والسحب قـد تتابعت وفودها   وانفرطت على الربى عقودها
وروضـة الأنس يفوح طيبها   وينثنى فى دوحها رطيبها
ونغمات الطـير بالالحان   تغنى عن الجنوك والعيدان
أحسن بها ياسـعد من أطيار   تلوح كالأنجم للأبصار
تخالها اذا سجى جنح الغسق   كأسطر خطت على وجه الملق
من وارد وصـادر وواضع   وناهض وطائر وواقع
وأبيض كالصبح اذا تبلجا   وأسود حلولك يحكى الدجى
وأخضر مـدبج اللباس   وأزهر يزهو على النبراس
مختلفات فى الحلى والشكل   عن حصرها يعجز أهل الفضل
لكنها جليلها معروف .   وهو لدى أربابه موصوف
فها كها من بعـد عشر أربع   كعمر بدر التم حين يطلع
قـد جمعت أوصاف كل طائر   مبينات المجـد والمآثر
فالتم يبدو فى لباس يقق   كأنه مركب من ورق
فى الرأس منه نقطة تحكى السبج   من الرماة نحوه تصبو المهج
والـكل شيخ أبيض جلبابه   معلق فى عنقـه جرابه
منقاره كحربة من أسـل   وظهـره محـدب كالجبـل
وللأوز نغمـة الأوتار   اذا بدت تختال فى المطار

فضية منقارها من عسجد | ياسعد فى حبي لها كن مسعدى
واللغلغ المسكىّ كالأوزّ | فى الحسن والوصف وفرط العز
لكن له مثل اللجين غره | تدنى لمن يصرعه المسره
وحبذا الانيسة الملونه | لباسها المنقوش يا ما أحسنه
يبكى عليها الصب بالدموع | لأنها عزيزة الوقوع
خذ يا أخا الرمى صفات الجبرج | يحكى القطا فى لونه المدبج
يألف أيام الربيع الزاهره | فيجتنى ويجتلى أزاهره
والنسر راميه شديد الأسهم | لأنه عال كنسر الأنجم
أقرع ذو مخالب حداد | يذكر عصر تبع وعاد
وبعده وصف العقاب الكاسره | تلك التى للوحش تغدو آسره
مغبرة ظافرة أظفارها | بالصيد كم أدنى الردى منقارها
ثم تجتلى الكركىّ تحت الشفق | فقد بدا فى ثوب خز أزرق
ومد جيداً ياله من جيد | وأطرب الاسماع بالتغريد
اذا بدا الغرنوق فى الفضاء | شبهه بالغمامة الدكناء
كأنه الكركى فى لباسه | سوى سواد عنقه وراسه
والضوع مبيض شبيه الفلق | أطواقه مصبوغة بالعلق
يختال فى الحمرة والبياض | كخد من قد زاد فى الاعراض
ومرزم يا حسنه من مرزم | كأنه قد خاض فى بحر الدم
أبيض وضاح طويل العنق | راميه قد فاز بفضل السبق
وتلوه السبيطر المسموم | أبيض ضخم وصفه معلوم
يسكن فى الأماكن العليه | وطعمه الحية والسحليه
وأقبل العناز بعد الجمع | أسود ذا صدر كضوء الشمع
قد جمع الضدين صبحاً ودجا | من يرمه يعد من أهل الحجا

وهـذه تكملة الأطيار أعنى طيور الواجب المختار
ترفل فى محاسن الملابس وتجلى فى الطرس كالعرائس
كأنما ينظرها حديقة سابحة فى غـدرها الأنيقه
لا زلت ترمى الطير والأعادى بأسهـم ذى ألسن حـداد
ودمت تلقى السعد فى مسيركا حتى تعـد الكل من طيوركا
ما سهر الليل رماة البنـدق وقبل الطـير خـدود الملق

﴿ الفصل الرابع والعشرون في الـكرم والشجاعة ﴾

مررت ببعض أحياء العرب ، فى يوم طما بحر آله واضطرب ، فلمحني شخص من بعيد ، حوله جماعة من الخدم والعبيد ، فأرسل واحداً منهـم فى طلبي ، فلما دنوت منه رحب بى وأحسن منقلبي ، ورفع قدرى ومنزلى ، وأعذب موردى ومنهلى وأعزّ جانبي ، وأربع مشاربى وأجزل نولى ، وعظم قومى وقولى ، وأتحفـنى باللطائف ، وأمـدنى بكل ساع من البر وطائف ، وأضرم نار القرى ، وسـقى بدماء البدن ظامئ الثرى . ومنحنى من الجود بأنواع مختلفة ، وأسدى الىّ الجود من غير معرفة ، وعقر النعم وغمر بالانعام ، وتجاوز الحد فى الـكرم والاكرام ، وعم بفضله البسيط واحسانه الشامل ، وآلى أن لا أرحل عن حيه مدة شهر كامل

وحقق آمالى وقرّب مجلسى وأرشفنى كاس النوال مروّقا
وقيدنى بالمـكرمات أما ترى لسانى له بالشـكر أصبح مطلقا

يا له جوادا لا يلحق ، وغيداقاً لا يطرق حين يطرق ، وقلما يعيد المدى ، وخضرماً تفيض أنديته بالندى ، وصنديداً سخىّ البنان ، وسميذعاً لا تبرح ربوعـه ربيعاً للضيفان ، وهماماً تهمى سحائبه

جوده ، وأريحياً لم يزل مرتاحا لملاقاة وفوده ، يطوى حاتم الطائى عند نشره ، ويفنى هرم بن سنان لبقاء شارح ذكره ، ويطوف كعب ابن مامة بكعبة حرمه ، ويخلد به خالد القشرى ليقتبس من كرمه ، وينقص لديه معن بن زائدة ، ويلتقط يزيد بن المهلب فى هلبة الزمان فرائده

مفيد ومتلاف اذا ماسألته   تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خيرموقد

جزيل المروّة ، شريف الابوّة ، كريم النجار ، جليل المقدار ، علىّ الهمة ، طليق الوجه عند الملمة ، يحرز المجد ويذهب الذهب ، ويبتدئ بالاحسان الى العفاة قبل الطلب ، ظله ممدود ، وجوده موجود ، وقناؤه مقصود ، وباب منزله عن الواردين غير مردود ، يعطى من لا يرجوه ، ويفصل قضية المتقاضى وعده على أحسن الوجوه ، كم أولى من أيادى ، وأنجز ابعاد الاعادى ، ومنح برا ، وكف عن نزيله ضرّا ، وأجرى نيل النوال ، وأماط عن المجتدى سوء السؤال

علم المزن الندى حتى اذا   ماحكاه علم البأس الاسد
فله الغيث مقر بالجدى   وله الليث مقر بالجلد

ولقد شاهدت منه فى مدة مقامى ، ما يكبو دون منتهاه جواد كلامى ، من كرم زهت كرومه ، وشجاعة طال أسلها وزهت نجومه ، نعم تجل عن الحصر ، ونجدة مؤدنة بالنصر ، وسماحة وحماسة وتدبير وسياسة ، وثبات أقدام ، وصبر وإقدام ، ولسان لذوى المسألة مجيب ، وصدر لمن صدر وورد رحيب ، وهبات طاب هبوب نسيمها ، ومنح راقت جنات نعيمها ، وسخاء بحره زائد ، وصلة

نفعها على من وصل اليه عائد ، وأخلاق حسنة ، ومناقب تقصر عن وصفها الالسنة

وعدل أباع الشاء أتلعة الفلا   تلس كلاها والذئاب رعاء

وفضل حباه الله سبحانه به   ولله وضع الفضل حيث يشاء

لله نسبه الذى عــلا على الفلك ، وفتحت له السعادة الابواب وقالت هيت لك ، و بيته الذى رفع المجد قواعــده ، وأطلع الرفد فى آفاق الانفاق موائده ، وقومــه الدين زكت نفوسهم ، وأينعت فى حدائق العطايا غروسهم ، وملكوا أعنة المعالى ورفعوا خيام خيمهم بأطراف العوالى ، يسير الفخر تحت ألويتهم ، وتتعطر المجالس بطيب أنديتهــم ، يقتحمون عقبــة الوغى صابرين على الطعن والضرب ، و يفضلون مقارعة كماة الحرب على معاقرة كميت الشرب ، طالما كفوا أكف العدى ، ووجد أبناء السرى على نارهم هدى ، وشتتوا شمل الابطال ، وجرّوا على تاج المجرة فضل الاذيال

ان ترد خبر حالهم عن يقين   فأتهــم يوم نائل أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

و بعد فمحاسنه لا تحصى بعــد ، وأوصافه لا تدرك لانها لا تنتهى الى حدّ ، والاسهاب يضيع ممن راد طولا ، واختصار القول أجــدر وأولى ، فلما انقضت مــدة اليته ، وقرت عينى بما عاينت من لطف سجيته ، وآن للمقيم أن يرحل ، وللضيف العائد بالفوائد ان يخبر وان لم يسأل ، اســتأذنته فى الظعن ، وأعلمته باشتياقى الى الوطن ، فأذن لى مكرها وأنشدنى متأوها

تفضلت الايام بالجمع بيننا   فلما حمدنا لم ندمنا على الحمد

جعلت وداعى واحداً لثلاثة   جمالك والعلم المبرح والمجد

ثم انى سرت شاكرا برّه المألوف ، ناشرا ألوية معروفه المعروف، حامدا أنعامه الذى شمل القريب والبعيد ، مادحا شخصه الذى لم يشك وحشة قط وهو فى الدنيا وحيد ، مجربا ذكر ما حواه من عزم العزائم ، مثنياً على أياديه الجميلة ثناء الروض على الغمائم

﴿ الفصل الخامس والعشرون فى العدل والاحسان ﴾

ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، فبادر الى امتثال الامر أيها الانسان ، وانشر أعلام الانصاف ، واتصف بمحاسن الاوصاف ، وارفق بالرعيه ، واكثر من البر الى البريه ، وابسط رداء المعدله ، وساو بين الخصوم فى المنزله ، واسمح بجبيرك وخيرك ، ولا تظلم الناس لغيرك ، واعلم ان العدل حارس الملك ، ومدبر فلك الفلك ، وغيث البلاد ، وغوث العباد ، وخصب الزمان ، ومظنة الامان ، وكبت الحاسد ، وصلاح الفاسد ، وملجأ الحائر ، ومرشد السائر ، وناصر المظلوم ، ومجيب السائل والمحروم ، به تطمئن القلوب ، وتجلى غياهب الكروب ، ويرغم أنف الشيطان ، وترفع به قواعد السلطان ، عليه مدار السياسة ، وهو مغن عن النجدة والحماسه ،

عن العدل لا تعدل وكن متيقظاً ... وحكمك بين الناس فليك بالقسط
وبالرفق عاملهم وأحسن اليهم ... ولا تبدلن وجه الرضا منك بالسخط
وحلّ بدر الحق جيد نظامهم ... وراقب الله الخلق فى الحل والربط

واياك والظلم فانه ظلمه ، وداع الى تغيير النعمة وتعجيل النقمة ، يقرب المحن ، ويسبب الاحن ، ويخلى الديار ويمحق الاعمار ، ويعفى الآثار ، ويوجب المثوى فى النار ، وينقص العدد ، ويسرع يتم الولد ، ويذهب المال ، ويتعب البال ، ويجلب العقاب ، ويضرب

الرقاب ، و يمص الجناح ، ويخص بالاثم والجناح ، والمظلوم أنفاسه متعلقة بالسحاب ، ودعوته ليس بينها و بين الله حجاب ،

كن منصفاً واسلك سبيل التقى فالبغى ليل جنحه مظلم
واجتنب الظلم ولا تأته والله لا يفلح من يظلم

وايقظ عيون حزمك ، وشيد مبانى عزمك ، واحتم بالاحتمال ، فهو انصر لك من الرجال ، وزين مجلسك بألمعيتك ، وسس نفسك قبل رعيتك ، وامزج الرغبة بالرهبة ، وارع لاوليائك حقوق الصحبه ، وادفع بالتى هى أحسن ، وأت من المعروف بما أمكن

واصنع جميلا ما استطعت فانه لا بد ان تتحدث السمار

وتجاوز عن الهفوات ، وادرأ الحدود بالشبهات ، وانجز الوعد واخلف الوعيد ، وقيد لفظك فلديك رقيب عتيد ، وتفكر فى العواقب ، والحظ الاخرى بعين المراقب ،

من لم يفكر فى العواقب ناظراً فى مايؤول اليه آخر أمره
خسرت تجارته وضل عن الهدى ورأى مساعيه بطرف أمره

وعليك بالحلم فانه معدن السرور ، وعقال الفتن والشرور ، يبلغك من المجد قاصيته ، وتملك به من الحمد ناصيته ، مطية وطيه وعطية يالها من عطيه ، وخصلة محموده ، وشيمة ألويتها بالسعد معقوده ، يسهل الامور ، و يقى كل محذور ، همة صاحبه عليه ، ومرآة متعاطيه جليه ، لا يظهر الا من ندب كريم ، ولا يصدر الا عن صدر سليم ،

قابلت بالاحسان من ساءنى ميلا لتحصيل الثناء المقيم
وقمت بالواجب من شكره اذ عرف الناس بأنى حليم

واعف عمن ظلمك ، وصل رحمك وارحم حرمك ، واطف بالاناة جمر الغضب ، واحذر من غاسق الغيظ اذا وقب ، وصن عرضك عن

الادناس ، وادخل فى زمرة العافين عن الناس ، فهم أهل الفضل يوم القيامه ، والمتقلدون بكرم الكرامه ، يرفلون فى أثواب الثواب ، ويدخلون الجنة بغير حساب ، ولا تعج عن سنن السنن ، وراقب الله فى السر والعلن ، واتبع فى الاحسان طريق من أفلح به المؤمنون ، والزم التقوى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ،

﴿ الفصل السادس والعشرون في الشكر والثناء ﴾

شكر المنعم واجب ، والثناء على المحسن ضربة لازب ، فاشكر من وضع الخير لديك ، وكن مثنياً على من أحسن اليك ، حيث أجاب سؤالك ، وحقق آمالك ، وصدق ظنك ، واضحك سنك ، واتحفك بكرائم كرمه ، واطلع فى أفقك نعائم نعمه ، ولبى دعوتك ، وروض عدوتك ، ورعى جانبك ، و بلغك ما ربك ، وقوى معينيك ، وأيد معانيك ، وأسمك من العليا قباباً ، وافتح لك الى دار السعادة أبواباً

وأولاك الجيل بغير مطل وعن وجه الندى رفع الحجابا
و بل ثراك بالجدوى فحق عليك تصير التقريظ دابا

ان قصر عن المكافأة بنانك ، فليطل بنشر الشكر لسانك ، فيه تدوم النعم ، وهو داعية الجود والكرم ، كثرته تبعث على بذل الالوف ، وقلته تزهد فى اصطناع المعروف ، فاجتهد فى اقامة شعاره ، واحتفل برفع علمه واعلاء مناره ، واياك والتقصير ، فى حق من شملك بفضله الغزير ، وقم بواجب من قلدك عقود المنه ، ولا تجعل الاعتذار بعجزك من غير حرص جنه

اطلق لسانك بالثناء على الذى أولاك حسن غرائب ورغائب
واشكر شكر الروض حياه الحيا كيما تقوم له ببعض الواجب

أيها المتطوّل بأياديه ، المتفضل بما غمر من غواديه ، الجائد بأموالك الزائد نيل نواله ، المرتدى بأثواب الجلال ، المبتدئ بالعطاء قبل السؤال ، لو استطعت تمثيل حمدك ومدحك ، واعتدادى بأفضالك العميم ومنحك ، لابرزته فى صورة تروق النواظر ، وأفرغته فى قالب يسر القلوب والخواطر ، لقد أترعت مواردى ومناهلى ، وحملتنى من حقائب الجود ما أثقل كاهلى ، وأرحت سرى بهبات هباتك ، وقطعت أملى الا من موارد صلاتك

كم من يد بيضاء قد أسديتها　　تثنى اليك عنان كل وداد
شكر الاله صنائعاً أوليتها　　سلكت مع الارواح فى الاجساد

الأمّ تنشر على ملابس العوارف ، وحتام تهدى الى نفائس اللطائف ، وتلحظ بعيون العناية ، وتمد ظل الرعاية ، وتصل أسباب الصنائع ، وتأتى من الاحسان بما عهده محفوظ ونشره صائع ، من غير خدمة سابقة ، ولا حرمة لهدى العواطف سائقة ، طالما غنيت بالغناء من خيرك ، وألهتنى لهاك عن الاجتماع بغيرك ، وقابلتنى عطاياك بحبرها ، ومنحتنى سماحتك من كنزها الوافر بخالص تبرها

فلأشكرنك ماحييت وان أمت　　فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

صيرت لسانى كليلا بعد حدّته ، واعتدت قلمى جافا بعد غزارة مدته ، فها أنا لا أطيق آداء بعض حقك ، ولا يخرجنى فرط برك عن عهدة رقك ، وكلما فرغت من شكر يد كثر مددها وصلتها بأياد جزيلة اعد منها ولا أعددها ، فلا تحدث لى بعدها زيادة ، وارفق ببعدك فقد ملك العجز قيادة

« أنت الذى قلدتنى نعماً　　أوهت قوى شكرى فقد ضعفا »
« لا تسدين الىّ عارفة　　حتى أقوم بشكر ما سلفا »

وماذا عسى مادحك أن يقوم ، يامن فتن بحسن مناقبه العقول ، التكلم يقصر عن وصفك باعه ، والبليغ يعجز عن حصر فضلك يراعه، والعالم يغرق فى بحرك ، والناظم يلقط جواهر نثرك ،على ان كلا منهم لو استعار الدهر لسانا ، واتخذ الريح فى نقل أخبارك ترجمانا ، أدركه الملال ولم يصل الى غايتك ، وأعياه الكلال دون الوقوف عند نهايتك ، فالله يتولى من مكافأتك ما هو أبلغ من شكر الناس ، ويمتع الاولياء ببقاء ذاتك التى جلت عن النعت والقياس

﴿ الفصل السابع والعشرون فى الهناء ﴾

صحبنى شخص من الكتاب ، له رفيق يدعى معرفة الآداب ، فجاءنى يوماً من ديوان النظر ، قائلا كان رفيقى غائباً ثم حضر، وقصدى املاء شيء فى هذا المعنى، ولست أعرف لروض الادب سواك مزناً، فقلت له اكتب

ورد البشير بما أقر العيون ، وسكن هواجس الظنون ، وشرح الصدور وابهجها ، وألجم خيل السرور وأسرجها ، من أياب مولانا مصحوباً بالسلامة ، مالكا قياد الفضل وزمامه ، فتلقاه العبد بمزيد القبول ، واعترف بطيب عرفة الضائع قبل الوصول

« وتقاسم القوم المسرة بينهم قسما فكان أجلهم حظاً انا »

ولم يزل مدة غيبته مستدعياً لذكره ، مشاهداً له وان شط المزار بعين فكره ، متشوقاً الى أيامه التى راق نعيمها ، مرتقباً نجوم لياليه التى رق لخلقه نسيمها

لليالى لم نحذر حزون قطيعة ولم نمش الا فى سهول وصال

الى أن جمع الله به شتات الامور ، وألف بقدمه من الانس كل

نفور ، واعاد بدره الى منازل سعوده ، وفطر قلب حسوده بصعده صعوده ، فله الحمد على نعمه التي لاتعد ، وكرمه الذي تجاوزت سيوفه غاية الحد ، وهو المسؤول أن يعيذه من شر من حسد وطعن ، ويكلأه بعينه التي لا تنام ان أقام أو ظعن

ثم انه وافاني بعد مدة ، فحمل يراعه ومن النفس مدة ، وقال ان رفيقي قد أبلّ من المرض ، وما يخفى عن مثلك أيدك الله سر الغرض. فقلت له اكتب

الحكمة أطال الله بقاءك ، وأدام صحتك وشفاءك ، تقتضي المنح والمحن ، وتوجب الفرح والحزن ، ليتذكر أولى الالباب ، وتتأكد أسباب الثواب ، ولقد منعني لذيذ الرقاد ، ما حصل لمولاي من الافتقاد ، واسكرني بخمر التحير ، ماحصل لمزاجه اللطيف من التغير ، يا لها غفلة من الدهر صدرت ، وهفوة على غرة من الامل ظهرت ، حيث ازعج كريم جسده ، وعلا على ذخر الملك وسنده ، وارتقى من الرئاسة الى رأسها ، وامطى ذروة كاشف غمها ومذيل بأسها ، وبالجملة فما اعتدل الا لأنه كالنسيم لطفا ، وما جاورته الحمى الا انه كالاسد وصفا

لا تخش من ألم ألمّ مودعاً ... يا من بسيط العمر منه طويل
ان التي يدعونها الحمى على ... أسد الشرى وكذا النسيم عليل

وأنا أحمد الله على لبسه أثواب الصحة ، ودخوله من العافية منزلا مهد البرّ صرحه ، وأساله أن يفيض عليه سحائب نواله الزائد ، ولا يحوج شخصه المغرى بالصلة الى عائد

ثم انه جاءني بعد حين . وأسارير ه تخبر أنه من الفرحين ، فقال أن رفيقي ولي الوزارة ، فهل من رسالة تسفر عن حسن السفارة ، فقلت له اكتب :

أيد الله مولانا الوزير ، وأفاض على الكافة فضله الغزير ،وهناه بهذه الرتبة التى أوضح وجه مذهبها ، وبلغها بتحرير قلمه المهذب نهاية مطالبها ، وأنمى بتدبيره أموالها ، وقرّر على القواعد المرضية أحوالها

فلم تكن تصلح الا له ولم يكن يصلح الا لها

هذا ما كانت تنتظره النواظر، وتشهد بوقوعه خطرات الخواطر ، وأسند الامر الى أهله ، وأجلب الخير بخيله ورجله، وأصاب الدهر فى ما أمضاه من فعله ، وانتهت القوس الى باريها ، وتمسكت الرعايا بعرى أمانيها ، وزفت عروس الوزارة على كافلها وكافيها ، ما أحق هذه البشرى ، بأن تبدى الرياض من ورودها لورودها نشرا ، وتميد الاغصان وتميل،وتخلق الكون بزعفران الاصيل ، ويتقلد الافق بعقود نجومه الزواهر ، وتنطق بشكرها ألسن الاقلام من افواه المحابر

سرّت بك الدنيا وسكانها وامتلأت بشرا صدور الصدور

وأجرت الاعداء سحب البكا للحزن وافترّت ثغور الثغور

فالحمد لله ثم الحمد لله ، والشكر له على ما أولاه ، من اسباغ نعمه المألوفة ، ومعروف اياديه المعروفة ،واليه الرغبة فى ادامة سروره المتوالى، وادارة فلك سعده على ممرّ الليالى

ثم أنه قدم الىّ بعد أيام ، وقال أن الوزير بشر بغلام ، فامل علىّ زادك الله رفعة ، ما أشنف به من الهناء سمعه ، فقلت له اكتب

أهلا بطلوع نجم السعادة ، ومرحباً بظهور هلال السيادة ،غصن الشجرة الوارف ظلها العالى ، فى جنات الفضائل محلها ، اكرم بها من شجرة أصلها ثابت ، وفرعها النامى كل طرف اليه باهت ، تؤتى أكلها كل حين ، وتمنح برّها الغادين والرائحين ، ياله مولوداً راقت نضرته ، وتبسمت من خلال المكارم زهرته ، واهتزت لقدومه قدود العوالى،

وارتاحت لمورده نفوس المعالى ، واستشرفت له صدور المحافل، وتهيأت لخطبته عقائل المراتب والمنازل ، فتهنّ به أيها الوزير ، وتملّ بمشاهدة صبحه المنير

وابشر فقدوافاك يوم زرقته حظّ بتخليد السرور زعيم

لا زالت التهانى بكعبة حرمك طائفة ، ولا برحت المسرات على جنابك متضاعفة ، ودمت راوياً حديث الجود عن أصلك باسناده ، جامعاً بين كرم طارف نجلك ويمن تلاده

وبقيت حتى تستضئ برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده

فلما فرغ من نقشها ، وتأمل محاسن رقشها ، نشر أعلام الثناء والشكر، وتمايل طرباً كالثمل من السكر، واعتذر من التثقيل، واستعفى من القال والقيل ، ثم ودعنى وبان ، ولم أجتمع به الى الآن

﴿ الفصل الثامن والعشرون فى الرثاء ﴾

مات لمن يعز علىّ ولد ، لم يبلغ من فصاله منتهى الامد ، وكنت استحيله واستجيله ، اذا حصل الاجتماع بينى و بين أبيه، فاكثروهو معذور من الوجد عليه ، فكتبت على سبيل التعزية اليه

برغمى ان اعنف فيك دهراً قليلا فكره بعنفيه

وان أرعى النجوم ولست فيها وان اطأ التراب وأنت فيه

الدنيا مدّ الله فى عمرك وصبرك، ومحا آية الحزن من صحيفة صدرك، دار تمكر بسكانها، وتغدر بأهلها وجيرانها ، كم أفنت قروناً ، واسخنت بالبكاء عيوناً ، ونثرت عقداً ، وأضرمت وقداً ، وأخلفت جديداً ، وأخذت من والد وليداً، وفرقت شمل الاحباب، وألبست الاتراب أردية التراب

وكم قد روّعت قلباً وساقت نحوه حزنا
وملت بعد ان مالت واذوت بالردى غصنا

ولا كغصن دوحك الرطيب، وزهرة روضك الخصيب، الذى عز فقده ، وهتك ستر المدامع بعده ، وأحيا بموته الاسف ، وشوى الاكباد على جمر التلف ، ياله زائراً ما سلم حتى ودع ، وهاجراً خشع القلب لصده وتصدع ، وطفلا ذهب مبرّأ من الذنوب والاوزار ، وعصفوراً طار الى الجنة وتركنا نتقلب فى تلهب النار، وديناراً ولعت بصرفه أيدى الزمان، ودرة نقلها الدهر الى صدف الاكفان ،وهلالا عاجله الخسوف قبل الابدار ، ونجماً أخفاه اسفار صبح الاقدار

ياكوكباً ماكان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الاسحار

وقد علم الله شوقى اليه ، وشدة قلقى وحرقى عليه ، وغمى لمغيبه بعد اشراقه ، وفرط بثى وحزنى لفراقه ، وما سال من دموعى وساح ، وأصاب جوارحى من الجراح

موت الصغير مصيبة غاراتها ما تنقضى وكبها لم يقهر
قسما بمن يحيي رفات الخلق ما فقد الهشيم كفقد روض مزهر

ولقد أجرى ماء العيون معينا، وكنا نرجوه معينا، أعاد أيامنا سوداً وكانت به بيضاً ليالينا ، لو ان الحتف يقبل الفدا ، أو ان الحمية ترد الردى ، لفديناه بالاموال والارواح ، وخضنا دونه بحار السيوف والرماح ، ولكنه الكاس الذى يستوى فى شربه الصغير والكبير ، والسبيل المحتوم سلوكه على المأمور والامير، فانا لله وانا اليه راجعون ، وبحكمه راضون ولأمره طائعون ، له ما أعطى وله ماأخذ، وهوالذى يرسل سهم المنية ولولاه ما نفذ، وأنت أبقاك الله أولى من للقضاسلم، وسكت منبسط النفس ولو بأنياب النوائب تكلم ، وقابل القدر بوجه

«الرضا لا الغضب، والحمد لله على كل حال ان وهب أو سلب ، فالجزع لا يجدى ولا يفيد ، والماضى لا يعاد الى يوم الوعيد، والاجر موقوف على الاحتساب ، والله عنده حسن الثواب، فادخره للاخرى فالدنيا متاع الغرور ، واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور

يا راحــلا أذهب عنا السرور	وكادت الارض بنا ان تمور
ويا هــلالا بالخسوف اختفى	من قبل أن يدرك شأو البدور
ان كنت قد فارقت أهلا فكم	حولك ولدان حسان وحور
جاورت من بعدك من ساءنى	لهنك الجار الذى لا يجور
ويلاه من بدر رفيع مضى	تجارة العانى به لن تبور
شق الجيوب القوم لما سرى	لو أنصفوا شقوا عليه الصدور
ما كنت أدرى قبل دفنى له	ان الدرارى فى الصحارى تغور
لهفى على طفــل فؤادى له	نعش ودمع العين غسل طهور
لهفى على زهرة روض زهت	فعوجلت بالقطف دون الزهور
لهفى على غصن ذوى قبل أن	يبدو لنا من نوره الغض نور
آهاً لذاك الوجه كيف انطوت	آياته الحسنى ليوم النشــور
آهاً لدر قــد غــدا ثاوياً	فى صدف اللحد جوار القبور
آهاً لمر الهجر حلو الحــلى	الوجد حق فيــه والصبر زور
والله ما عجــل يوم النوى	الا لنحظى فى غــد بالاجور
ما هــذه الدنيا وسحقاً لما	تلهى به الا متاع الغرور
تمحو بكف الحتف رسم الورى	لما اغتــدوا فى رقها كالسطور
ما تأتلى من غــير خوف الى	دار البلى تنقل أهــل القصور
كم من رجى للموت فيها على	ضــائع أعمــار البرايا تدور
أخنى علينا الدهر فى أخذ من	كنا نرجيــه لســد الثغور

يادهر بالامرة كم تعتدى   ألا الى الله تصير الامور

﴿ الفصل التاسع والعشرون فى الحكم ﴾

العلم نعم السمير ، والعقل بشير بالخير يشير ، اجتهد فى طلب العلوم تنفرد بما يرفعك الى النجوم، الجد يبذل اللها، والفضل بالادب والنهى، من صادق العلماء زها بدره ، ومن رافق السفهاء وهى قدره ، العلم ثمرته الانصاف ، والزهد نتيجته العفاف ،التقوى أفضل حلة،والمروءة أجل خلة ، الحق سيف قاطع ، والحلم درع مانع ، الزم الحجا فهو ألطف سائس ، ولا تعدل عن العدل فهو أحفظ حارس ، العقل أحسن المواهب ، والجهل أقبح المصائب

العقل أحسن معقل فاهرع الى   أبوابه العليا تنل كل العلى
واعلم بأن الشيء يرخص كثرة   والعقل ان كثرت حواصله غلا

من رضى بالقدر ، وقى شر الحذر ، اليأس يعز الاصاغر، والطمع يذل الاكابر ، حاسب نفسك تسلم ، ولا تقتحم الاخطار تندم ، من سره الفساد فى الأرض ، ساءه طول التعب يوم العرض ، لا تقل الا ما يطيب عنك نشره ، ولا تفعل الا ما يسطر لك أجره ، السعيد من اتعظ بماضى أمسه ، والشقى من ضن بخيره على نفسه ، لا تغرنك صحة بدنك اليسيرة ، فمدة العمر وان طالت قصيرة ، من لم يعتبر بالمساء والصباح ، لم يرتدع بقول اللوّام والنصاح ، من قنع برزقه استغنى، ومن صبر نال ما يتمنى

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر   ومنه اقتنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله   فان كان ثم نصيب وصل

من أنس بالآخرة ، فاز بالملابس الفاخرة ، من رفع حاجته الى

الله نجحت ، ومن تمسك بغيره خسرت تجارته وما ربحت ، من لم تفسد شهوته دينه ، وصل الى الاماكن المكينه ، أبصر الناس من نظر الى عيوبه ، ولجأ الى ربه فى التجاوز عن ذنوبه ، أرفع الاعمال ما أوجب شكرا ، وأنفع الاموال ما أعقب أجرا ، الدنيا ظل زائل والشبيبة ضيف راحل ، من غالب الحق غلب ، ومن استهان بالدين سلب ، لا تخل نفسك من فكره ،تدنى من طرفك وقلبك قراراً وقره ، عد عن طاعة هواك ، واحذر من مخالفة مولاك

لا تتابع هواك ياذا المعاصى واجتنب ذلةالهوى والهوان
أحمق الناس من أطاع هواه وتمنى على الاله الأمانى

من وثق بالله أغناه ، ومن خرج عن حكمه عناه ، من لزم شأنه دامت سلامته ، ومن حفظ لسانه قلت ندامته ، الصمت يرفع لك المنار ، ويخلع عليك ثوب الوقار ، الزمان لا يبقى على حال ، والدنيا طبعها الغدر الملال ، تفتن بزهرتها الزاوية ، وتخدع بزينتها المتلاشية ، لا تفتن عمرك فى المعاصى ، وخذ حذرك من مالك النواصى ، اياك وكثرة الكلام ، فانها تنفر عنك الكرام ، ما سعد من شقى صاحبه ، وما عز من ذلت أقاربه ، من لزم شكر الاحسان ، استدام عدم الحرمان ، لا تودع سرك غير صدرك ، ولا تتكلم بما يحوجك الى اقامة عذرك

تفرّد بحفظ السرّ وحدك لا تثق الى أحد فيه ولوكان من كانا
فانك ان أودعت سرّك عاقلا يزل وان أو دعته جاهلا خانا

من بسط يده بالجود ، خرج من العدم الى الوجود ، من على علم شيمته ، غلا مقدار قيمته ، استر برّاً يظهر من يديك ، وانشر معروفاً يسدى اليك ، من أحسن الى جاره ، أطلع قمر الحمد فى دارة داره ، ومن جاد لطلب الجزاء فليس بكريم ، ومن صفح لعدم القدرة

فليس بحليم ، أحسن الخلق ما حثك على المكارم ، وأوضح الطرق ما كفك عن المحارم ، عيّ تسلم بعيلك اليه ، خير من نطق تندم عليه، من قلّ عقله كثر قوله، ومن زكا أصله تواتر طوله ، توقّ جناية اللسان، ولا تأمن من سطوات الزمان ، واستعذ من شرّ أفعى افعالك، وتحلّ بالصدق فى جميع أحوالك

الصدق يورث قائليه مهابة سر نحوه نعم الطريق طريته
واحفظ به عهد الصحاب فانه من قلّ منه الصدق قلّ صديقه

لا تعج عن سبيل الصواب ، ولذ بجناب رب الارباب ، واسع الى باب من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، اخش من يعلم السر وأخفى أن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ،

﴿ الفصل الثلاثون في المواعظ ﴾

أعلمني من أثق بنقله ، ولا أشك فى معرفته وفضله ، بقدوم بليغ من الواعاظ ، يبرز دقائق المعانى فى جليل الالفاظ ، وأشار بحضور مجلسه ، والاهتداء بنور قبسه ، فقبلت الاشارة ، وانتظمت فى سلك السيارة ، حتى أقضينا الى ناد فسيح ، لسان مناديه فصيح ، قد جمع بين الغني والفقير ، واشتمل على المأمور والامير ، واذا بشيخ قائم فى بهرة حلقته ، يفتن بسحر الكلام قلوب فرقته ، فسمعته يقول : أيها الناس ، ما الموت بساه ولا ناس، فتأهبوا لحلوله ، واستعدوا له قبل نزوله ، وحصلوا الراحلة والزاد ، وردوا العاصى الى الطريق فقد زاد ، ولا تعدلوا عن محجة الحجا ، واتقوا دعوة المظلوم فى ظلام الدجى ، وآمنوا بالقدر خيره وشره ، وارضوا بالقضاء حلوه ومره ، وافرغوا ذنوب الذنوب ، وافزعوا الى علام الغيوب ، وامنعوا من الامل ما كان

جموحا ، وتوبوا الى الله توبة نصوحا

وتجنبوا سبق الخطا فلكم هوى رب الهوى من حصنه وعقابه
وتمسكوا بجناب تقوى ربكم كى تسلموا من خزيه وعقابه

وأياك والدنيا فانها تمكر بصاحبها ، وتهدى الى اقاربها سم عقاربها ، عامرها خراب ، وغامرها سراب ، أمدها قصير ، والى الفناء تصير ، صفوها كدر ، وجرحها هدر ، والخاطر بها على خطر ، لانها لا تبقى ولا تذر ، بحرها العميق ، كم له من غريق ، فاركبوا فيه من التقى فلكا منيعة ، واجعلوا شراعها التمسك بعرى الشريعة ، لعلكم تبلغون الساحل ، ويتمدم بشير بشركم الراحل ، وهى قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ، واخشوا عيون شركها المفتوحة لكسركم واحذروها ،

مجاز حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هوّنوها تهن
فما حسن بيت له زخرف تراه اذا زلزلت لم يكن

ابن آدم ما اكثر حرضك ، وشرك ومرضك ، وأجزل حرصك وشرك ، وأقوى على من دونك ظفرك ، وأضعف بمن فوقك ظفرك ، وأخجل من يؤنبك ، واتعب من يتعبك ، ووثبك الى صيد الحرام ، وأشد شرهك على الحطام ، أما علمت أن الشره ، فى عين الرجل مره لا بالقليل تقنع ، ولا من الكثير تشبع ، ولا الى المواعظ تصغى ، ولا تبغى انك لا تبغى ، أنفاسك معدودة وأوقاتك محدودة ، ومالك عارية مردودة ، وذاتك الموجودة عن قريب مفقودة

وما المال والاهلون الاّ ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ويحك أتحسب أنك تترك سدى ، أو أن الحقوق تبطل بطول المدى ، كلاّ يا كليل الذهن ، تبعثن يوم تكون الجبال كالعهن ، ولتحاسبنّ على الذرة والبرة ، إن الله لا يظلم مثقال ذرّة

تنبه أيها المغرور واسأل الهك مرة من بعد مرة
وقف بالباب معتذراً لتحظى من البر المهيمن بالمبرة
ولا تركن الى الدنيا ففيها من الاحزان ما يخفى المسرة
ألا بعداً لها من دار قوم بها يرضون وهى لهم مضرة
تعرّ من الذنوب فعن قريب تحل من الممات بك المعرّة
وبالنزر اقتنع فالحرص ذل واياك الهوى وتوق شره
وحلو العيش لا تغتر به واصبر وان كانت حميا الصبر مرة

يا أرباب الملابس الفاخرة ، الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ، ما هذه الغفلة التى رأفت على قلوبكم ، ماهذه الدعة التى خطبتكم الى خطوبكم ، ماهذا القذى الذى أغشى أبصاركم ، ماهذا الطمع الذى ألحق بالعبيد أحراركم ، أما آن لكم أن تنيبوا ، وتصغوا الى داع الفلاح وتجيبوا ، بلى والله آن ، وظهر فجر الحق وبان ، فاجنحوا الى الطاعة ، ولازموا أهل السنة والجماعة ، واشتملوا على الخيرات قبل أن تمزقوا ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واخلصوا فى الاعمال ، واقطعوا حبائل الآمال ، وتزودوا للرحيل عن الوطن ، واجتنبوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وتحلوا بعقود المكارم ، وتخلوا عن انتهاء المحارم ، وجدوا كى تنالوا جد المجتهدين ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واعقلوا بالشكر شوارد النعم ، وصونوا اعراضكم ببذل النعم ، واتخذوا الصبر على البلوى عدة وجنه ، وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ،

أحسن بها من جنة عالية قطوفها للمجتنى دانية
آذان أهلها أولى العزم لا تسمع فيها أبداً لاغيه
وجوههم فيها ويا حسنها ناعمـــة مرضية راضية
الحور والولدان من حولهم يسعون فى روضاتها الزاهية

كم سرر للوفد مرفوعة فيها وكم من أعين جاريه
مبثوثة فيها زرابيها موضوعة أكوابها الصافيه
فاجتهدوا كى تدخلوها غدا يوم دخول الفرقة الناجيه

الى م تهتمون فى ادراك الغرض، وتذهبون جوهر نفوسكم فى تحصيل العرض ، وتستبدلون الضلالة بالهدى ، وترتدون بما يوقعكم فى الردى، وتسمحون بشركم ، وتبخلون بخيركم ، وتستوفون بالعمل كأن منفعته لغيركم ؟ ألا احسنوا الصفات ، لتكريم الذات ، واكثروا من ذكر هاذم اللذات. واستيقظوا من سنة الفترة، واتقوا النار ولو بشق تمرة ، فانى بكم اذا أصبحتم أمواتاً ، وعدتم بعد الرفاهية رفاتاً ، ونقلم الى دار البلا . وأجيب السائل عن بقائكم بلا ، وفجع بكم الاحباب، وغلقت دونكم الابواب ، وانقلبتم فى قليب البرزخ ، وأضحت عقودكم تحل وتفسخ ، أم كيف بكم اذا بعثر ما فى القبور، وحصل ما فى الصدور، ووقفتم للعرض على من بيده مقاليد الأمور ،فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

ثم انه بسط للدعاء يديه،وأجرى سوابق دمعه على خديه،فبكى القوم لبكائه ، وأمنوا على صالح دعائه ، فلما فرغ أقبل الناس اليه ،وأكثروا من تعظيمه والثناء عليه،فمن لاثم راحته،وقاصد بالجود راحته،وملتمس بركة عنايته، وناطق بشكر نصحه وهدايته،وهو يروح أرواحهم المكروبه ويسقى كل واحد منهم مشروبه، ثم ولى يتهادى بين صحابته، وانسحبت عنا أذيال سحابته ، فمضيت قرير الناظر، منشرح الصدر والخاطر ، متعظاً بما استمعت من قول النصيح،مستنشقاً من عرف الشيخ عرف الشيح ، حامداً صحبة المشير الذى لم يزل من المحسنين، مصلياً على من أنزل عليه وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين . انتهى الكتاب